MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM : V. Carullah
ESKİ KAYIT 132
YENİ KAYIT No.
TASNİF No.

١٢٢

٢٩٠

ثم وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوىً من الله بالتنوين
قلت قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن
نونها الحقها بجعفر وفي مصحف ابيّ فانهارت به قواعده وقيل
حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤي الدخان يخرج منه وروى
ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن
عوف اصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته ان يأذن
لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد
الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل عليّ فوالله لقد صليت بهم
والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه
كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرأون من القرآن
شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلاة بقومه ريبة شكا في الدين
ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد
كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله
ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا
للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال
هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه
عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء
فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية
ن يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها

ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما كان منه بقتلهم او في القبور
او في النار وقرئ يُقطّع بالياء وتُقطع بالتخفيف وتَقطّع بفتح التاء
بمعنى تتقطع وتُقطّع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اي الا ان تقطّع
انت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قُطّعت
قلوبهم وعن طلحة ولو قطّعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل
مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندماً و
اسفاً على تفريطهم مثّل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم
في سبيله بالشرى وروي تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر
رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها
واموالا هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة
قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال
اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني
مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة
قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومرّ برسول الله اعرابي وهو
يقرأها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله
ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الامر
كقوله عز وجل تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ فيقتلون
ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وعدا
مصدر مؤكد واخبر بان هذا الوعد الذي وعده لل[illegible]

وعد

وعداً ثابتاً قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في القرآن
ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا
يُقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف
بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن
منه وابلغ التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين
المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين
بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرّا صفة
للمؤمنين وجوّز الزجاج ان يكون مبتدأ خبره محذوف اي
التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله
وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في
يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد
خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال
وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤوا من النفاق
والعابدون الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة و
حرصوا عليها والسائحون الصائمون شبّهوا بذوي السياحة
في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون
في الارض يطلبونه في مظانه قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم
الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي
[illegible] استغفر لك ما سالم انه عنه فنزلت وقيل لما

افتتح مكة سأل أي أبويه أحدث به عهدا فقيل أمك آمنة فزار
قبرها بالأبواء ثم قام مستعبرا فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر
أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي ونزلت
وهذا أصح لأن موت أبي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل
بالمدينة وقيل استغفر لأبيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا
أن نستغفر لآبائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه
وهذا محمد يستغفر لعمه ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم
الله وحكمته من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم لأنهم ماتوا
على الشرك فرأوا طلحة وما استغفر إبراهيم لأبيه وعنه وما يستغفر
إبراهيم على حكاية الحال الماضية إلا عن موعدة وعدها
إياه أي وعدها إبراهيم أباه وهو قوله لأستغفرن لك وتدل
عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها أباه فإن قلت
كيف خفي على إبراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده
قلت يجوز أن يظن أنه ما دام يرجى منه الإيمان جاز
الاستغفار له على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما
علم بالوحي لأن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ألا ترى إلى قوله
عليه لعمه لأستغفرن لك ما لم أنه وعن الحسن قيل لرسول
الله إن فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم
فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا

وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر إبراهيم
فإن قلت فما معنى قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه
قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي أنه لن
يؤمن وأنه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره
فهو كقوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم أواه فعال
من أوه كلآل من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه أنه لفرط
ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له
مع شكاسته عليه وقوله لأرجمنك يعني بما أمر الله باتقائه و
اجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه
محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام ولا يسميهم
ضلالا ولا يخذلهم إلا إذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم
بأنه واجب الاتقاء والاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل
عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل
التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين
قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي أن يغفل وهي
أن المهدي للإسلام إذا أقدم على محظورات الله دخل في حكم الإضلال
والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فأما ما يعلم بالعقل كالصدق
في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف تاب الله على النبي
كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر واستغفر لذنبك

وفيه بعث للمومنين على التوبة وانه ما من مومن الا وهو محتاج
الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة
لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين
صفة الانبيا كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل
معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله
عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى
الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم

غداة طفت علماء بكر بن وائل ... عشية قارعنا جذام وحميرا

اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى ... والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا
في عسرة من الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد
تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم
الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها
الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي
شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة
الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان
او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير
الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ
بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد
المتخلفين من المومنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب عليهم

ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم الثلاثة كعب بن
مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن
الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ
خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف
الفم وقرا جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرا الاعمش وعلى
الثلاثة المخلفين بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في
امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم
فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور
لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجا من
سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول
والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا
فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على
من تاب ولو عاد في اليوم ماية مرة روي ان اناسا من المومنين
تخلفوا عن رسول الله منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن
بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من ماية الف درهم فقال
يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل
الله ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا
الضن بكن لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله
ولم يكن لاخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس

ما خلفني الا حب الحياة والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله
فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المومن يتوب من ذنوبه
ولا يصر عليها وعن ابى ذر الغفارى ان بعيره ابطا به فحمل متاعه
على ظهره واتبع اثر رسول الله ماشيا فقال رسول الله لما راى سواده كن ابا ذر
فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده
وعن ابى خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في
الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر
فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله عليه السلام
في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه
ومر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب
فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله عليه واستغفر له ومنهم
من بقى لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله عليه سلمت عليه
فرد على كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعرى ما خلف كعبا
فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله
ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا
الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة
امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة
اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخرجت الى الجبل
وكنت كما وصفني ربى وضاقت عليهم الارض بما رحبت

انفسهم فتتابعت البشارة فلبست ثوبى وانطلقت الى رسول الله
عليه السلام فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الى طلحة
بن عبيد الله فهرول الى حتى صافحنى وقال لتهنك توبة الله عليك
فلن انساها لطلحة وقال رسول الله وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا
كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابى بكر
الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض
بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه
مع الصادقين وقرى من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله
نية وقولا وعملا والذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله
على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل
هم الثلاثة اى كونوا مثل هولاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس
الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اى كونوا مع المهاجرين والانصار
ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف
من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضى الله عنه لا يصلح
الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرؤا
ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا بانفسهم
عن نفسه امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا
معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من
الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها

هذه الاية حجة قوية في ان خبر الواحد حجة وذلك لان كل ثلاثة فرقة وقد اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلاثة يكون اثنين او واحدا فوجب ان يكون الطائفة اما اثنين واما واحدا ثم انه تعالى اوجب العمل باخبارهم لان قوله ولينذروا قومهم عبارة عن اخبارهم وقوله لعلهم يحذرون ايجاب على قومهم ان يعملوا باخبارهم لان ايجاب الحذر بناء على ذكرهم انذار يقتضي ايجاب العمل على وفق ذكر وذلك يقتضي ان قول الواحد او الاثنين حجة في الشرع

نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم
يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا
المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى
همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه
الفقها من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من
التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم
ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق
احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه
على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من
قوله تعالى لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة
ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه لعزوه ان رسول الله
عليه كان اذا بعث غزوة تبوك وبعدما انزل في المتخلفين من الآيات
الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن
استماع الوحي والتفقه في الدين فأمروا ان ينفر من كل فرقة منهم
طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه
الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله
ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم
ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا
في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه

يلونكم

يلونكم يقربون منكم فان القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم
ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل
هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام و
الشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية
ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه
سئل عن قتال الديلم فقال عليكم بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلث
فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ
عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف
في القتل والاسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله مع المتقين ينصر
من اتقاه فلم يتراف على عدوه فمنهم من يقول فمن المنافقين من يقول
بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين و
اعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع
بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير ايكم بالفتح على اضمار فعل يفسره زادته تقديره
ايكم زادت زادته هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد لليقين والثبات
واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان
يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم
لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف
عقابهم قرئ اولا يرون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما
من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون

في أمرهم ويثقلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعايبون أمره وما ينزل الله
عليهم من نصرته وتأييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلعم
فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا
للوحي وسخرية به قائلين من يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على
استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج
والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين
صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح
بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم او من نسبكم
عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم
اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة
والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق
الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم و
افضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل
لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله رؤف رحيم فان
تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك
معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس العرش
لا يقدر احد من الخلق قدره وعن ابي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة
براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تعديد للحروف على طريق التحدي تلك آيات الكتاب
اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم
ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال
الاعشى يصف قصيدته وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال
من ذا قالها الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا
اسم كان وعجبا خبره وقرا ابن مسعود رضي الله عنه عجب
فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها
عسل وماء والاجود ان تكون كان تامة وان اوحينا بدلا
(لان الاصل ان تكون الخبر نكرة والمبتدا معرفة)
من عجب فان قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا
وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه
انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون
نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي
تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم
دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد
رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث
وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب
لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله

قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا ولا رسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله
انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما
اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب
في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء
على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب
والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هي المفسرة لان
الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان يكون المخففة من الثقيلة واصله
انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم البا
معه محذوف قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة
رفيعة **فان قلت** لم سميت السابقة قدما **قلت** لما كان السعي
والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة
يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان
قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من
السوابق العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا لساحر هذا الكتاب وما
جاء به محمد لسحر ومن قرا لساحر فهذا اشارة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين
في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر يدبر يقضي ويقدر على
حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في

مطلب في قوله تعالى يقولون بافواههم

فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم **قلت** فيه وجهان احدهما
ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ
من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على
معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه
مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد
بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة رحمه الله يريدون مذهبه
وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم
لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا
اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهئون
لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم
ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب
مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله من اليهود
والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم
غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله
وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول
اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز
من قولهم امراة ضهياء على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال
في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله اي هم
احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال

لقوم ربنوا شيئا قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف
يصرفون عن الحق اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا بان اطاعوهم في الامر بالمعاصي
وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم
ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا
يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم
انتهيت الى رسول الله عليه وفي عنقي صليب من ذهب فقال
ألقه فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه
فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت
مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح
فحين جعلوه ابنا لله تعالى فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقول والنصوص
في الانجيل والمسيح عليه انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك واستبعاد له ويجوز ان
يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء
الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح
ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم مثل حالهم في
طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد عليه بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ
في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية

القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه
ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم
او ليظهر دين الحق على كل دين ولو كره كيف جاز
انى الله الا كذا ولا انفعال كرهت او بغضت الا زيدا ولو تراجري ابى
مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى
الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره معنى اكل
الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى
قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهي
سبب للاكل قوله ياكلن كل ليلة اكافا اي يريد علفا يشترى بثمن
اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام
والتخفيف والمسامحة في الشرائع والذين يكنزون الذهب
يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة
على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال
والضن بها على الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمين
الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من
اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت
ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة
بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوة اية الكنز وقيل هي
ثابتة وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله تعالى منع الزكوة

وعن النبي عليه السلام ما أدّي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا
وما بلغ ان يزكّى فلم يزكّ فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله
عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال أحرز مالك
الذي اخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال أليس بكنز
قال ما أدّي زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر رضي الله عنهما كل ما
أدّيت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم
تؤدّ زكوته فهو الذي ذكر الله تعالى وان كان على ظهر الارض فان
قلت فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال
رسول الله تبًّا للذهب تبًّا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له اي مال
نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم
على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء كوي بها
وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله عليه السلام كيّة
وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيّتان قلت
كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله
اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه
ويؤدي عنه ما وجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان
كثير من الصحابة رضي الله عنهم كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن
عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن
القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا

في الدنيا والاقتناء مباح موسّع لا يذمّ صاحبه ولكل شيء حدّ
وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها نفقة
فما زاد فهو كنز كلام في الافضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها
وقد ذكر شيئان قلت ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان
كل واحد منهما جملة وافية وعدّة كثيرة ودنانير ودراهم فهو
كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به
الى الكنوز وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله
فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك فان قلت لم خصّا
بالذكر من بين سائر الاموال قلت لانهما قانون التموّل واثمان
الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما
لم يعدم سائر اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما
فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم
واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار
تحمى عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل
يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل
قلت لانه مسند الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها
فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها
كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير
وعن ابن عامر انه قرأ تحمى بالتاء وقرأ ابو حيوة فتكوى بالياء فان قلت

لم خُصَّت هذه الاعضاء قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث
لم ينفقوها في سبيل الله الّا الاغراض الدنيوية من وجاهة
عند الناس وتقدّم وان يكون ما وُجوههم مَصونا عندهم يتلقّون
بالجميل ويُحيّون بالاكرام ويُحشّمون ومن اكل طيّبات يتضلّعون
منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها
على ظهورهم كما ترى اغنيا زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من
اموالهم لا يخطرون ببالهم قوله رسول الله عليه ذهب اهل الدثور
بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا وولّوا اضهم واتاه
بمجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولّوه ظهورهم وقيل معناه
يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم
على ارادة القول وقوله لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذّ
وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضرّ
به انفسكم وتُعذَّب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرى تكنزون
بضم النون اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين
في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا
وقيل في اللوح اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة
والمحرّم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه في خطبته في حجة
الوداع الا انّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض
السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة
ودو

وذو الحجة والمحرّم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى
رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء
الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي
الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني انّ تحريم الاشهر
الاربعة هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام
وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر
الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم
يهجه وسمّوا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسيء فغيّروا
فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء بالله
وعطاء الخراساني احلّت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله
وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظّم اشهر
الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الاية وان كان
ذلك محرما في سائر الشهور كافة حال من الفاعل او المفعول مع
المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها النسيء تاخير
حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات
فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلّونه
ويحرّمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم
وكانوا يحرّمون من شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا
عدة ما حرّم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد

خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور
فيجعلونها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز
وعلا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها
والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم
عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى انه حدث ذلك في كنانة
لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني
مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته
ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر
كلما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان
المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
وقرئ يُضَل على البناء للمفعول ويَضل بفتح الياء والضاد ويُضِل على
ان الفعل لله عز وجل وقرأ الزهري ليوطّئوا بالتشديد والنسيء مصدر نسأه
اذا اخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا
ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسيّ بوزن الندي والنسي بوزن النهي
وهما تخفيف النسيء والنسء فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم
الله قلت معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير
تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها
زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله

لا يهدي اي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زَيَّن لهم سوء اعمالهم خذلهم الله
~~فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة~~ على البناء للفاعل وهو الله تعالى
اثاقلتم تثاقلتم وبه قرأ الاعمش اي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى
الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم
مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه
وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وقرئ أاثاقلتم على الاستفهام
الذي معناه الانكار والتوبيخ فان قلت فما العامل في اذا
وحرف الاستفهام مانعه ان يعمل فيه قلت ما دل عليه او ما في
ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في
الحال في ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر
بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ
مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة الا ورّى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد
الناس تمام العدة من الآخرة بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة
في الارض في جنب الآخرة الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين
حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه
يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة
دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله
وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة

وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس
والظاهر مستغنٍ عن التخصيص فان قلت كيف يكون قوله
فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان احدهما
الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل
واحد ولا اقل من الواحد فدلّ بقوله فقد نصره الله الى انه
ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه
اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل
من بعده واسند الاخراج الى الكفار كما اسند اليهم في قوله تعالى
من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه اذن الله
له في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين كقوله ثالث ثلاثة
وهما رسول الله عليه وابو بكر الصديق رضي الله عنه يروى
ان جبريل عليه لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر
وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون واذ هما بدل
من اذ اخرجه والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة
على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا لا تحزن قيل ان ثاني طلع
المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله
عليه فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه ما ظنك
باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله تعالى حمامتين
فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله عليه

اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ
الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه فقد
كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة رضي الله عنهم سكينته
ما القى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه
والجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم
الى الكفر وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ كلمة الله بالنصب والرفع
اوجه وهي فصل او مبتدا وفيها تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها
المختصة به دون سائر الكلم خفافا وثقالا خفافا في النفور
لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم
واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او
ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا
ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله عليه اعلي ان انفر
قال نعم حتى نزل قوله تعالى ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي
الله عنهما نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان
بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه
من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر
الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا
وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن
المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل

صاحب ضرس فقال استنفر الله الخفيف والثقيل وان لم تمكني
الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم
ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة العرض
ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل
منه البر والفاجر اى لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال
وسفرا قاصدا وسطا مقاربا الشقة المسافة الشاطة الشاقة
وقرا عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه
قوله يقولون لا تبعدوهم يدفنونهم ولا بعد الا ما توارى الصفائح
بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين
اى سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين
يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون
لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما
سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة
المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان
كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله
فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من سيحلفون او
حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما
يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا اى لخرجنا
معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك

الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنه الا ترى انه لو قيل
سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف
بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على
الحكاية عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه
مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا
لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق
في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله عليه
ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله
لا يستاذنك ليس من عادة المومنين ان يستاذنوك في ان
يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن
النبي عليه ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا
في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة
لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما
يستاذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا يترددون
عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار
ديدن المستبصر وقرئ عده بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة
من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا من حذف تاء التانيث
وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة
وعدة باضافة فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك

لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطياً معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الى زيد ولكن اساء اليه فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امراً بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قول بعضهم لبعض وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسناً ومصلحة فان قلت فلم خطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله تعالى ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في تركه صلى الله عليه وسلم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وهو انه لو لم يأذن لهم وثبطهم الله لم يقعدوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر

فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين قلت هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيراً الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور فلما لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام كأنه قيل ما زادوكم شيئاً الا خبالا والخبال الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعاً اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير رضي الله عنه ولارقصوا من رقصت الناقة رقصاً اذا اسرعت وارقصتها قال والراقصات الى منى فالغبغب وقرئ ولاوفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف قلت كانت الفتحة تكتب الفاً قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريباً من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفاً وفتحتها الفاً اخرى ونحوه اولا اذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون

حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم
لقد ابتغوا الفتنة اى العنت ونصب الغوائل والسعى فى تشتيت شملك
وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابى يوم احد حين انصرف
بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله عليه السلام على الثنية ليلة العقبة وهم
اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك
الامور ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا الآراء فى ابطال امرك حتى
وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب
دينه وعلا شرعه ائذن لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة
وهى الاثم بان لا تاذن لى فانى ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل
لا تلقنى فى الهلكة فانى اذا خرجت معك هلك مالى وعيالى وقيل
قال الجد بن قيس قد علمت الانصار انى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات
الاصفر يعنى نساء الروم ولكنى اعينك بمال فاتركنى وقرئ ولا تفتنى من افتنه
الا فى الفتنة سقطوا يعنى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة
التخلف وفى مصحف ابى سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى
محيطة بالكافرين يعنى انها تحيط بهم يوم القيامة او هى محيطة بهم
الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم فى وسطها ان تصبك
فى بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك
مصيبة نكبة وشدة فى بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بحالهم
فى الانحراف عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا اى امرنا الذى نحن متسمون به

[illegible] فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون
على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء
على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش
اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا
شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذ
رسول الله واصحابه الحياض على عدوة الوادى وسقوا الركاب واغتسلوا
وتوضؤوا وتلبد الرمل الذى كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه
الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير
فى به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر
والجرأة ثبتت القدم فى مواطن القتال اذ يوحى يجوز ان يكون بدلا
ثالثا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت انى معكم مفعول يوحى
وقرئ انى بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحى مجرى يقول
كقوله تعالى انى ممدكم والمعنى انى معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله
سالقى فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله انى معكم فثبتوا ولا معونة
اعظم من القاء الرعب فى قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب
اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد
بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم
ونياتهم فى القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة
وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذى يعرفون وجهه فياتى

فيقولوا إني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهولاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للروس وقيل اراد الروس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال واضرب هامة البطل المشيح عشيته وهو في جاوا باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المومنون ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا

١٧

سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان ذلك في تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسالونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه يسالونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد والمراد ان اقتضته حكمة الله وامر به رسول الله [illegible] المقابلة [illegible] لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات [illegible] في السقيا ولا يستاثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف و[illegible]

وكونوا متحدين متحابين في الله واصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا
فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم أن
دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال
ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم
قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة
ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال
ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون
ما في الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة
الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان
موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي
الايمان واللام في قوله انما المومنون اشارة اليهم اي انما الكاملو
الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك
هم المومنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء رضي الله
عنها الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال
بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهب به يعني فزعت لذكره استعظاما
له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا
الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك
ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية
فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق

في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة
نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على
زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان
لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان
وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها
استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون
ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين
اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح
من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المومنون
ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المومنون كقولك هو
عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن
انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا
مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المومنون فوالله لا ادري أمنهم
انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل
الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من
اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق
من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه
قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم صلوات الله عليه

فى قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال له هلا امتدت به فى قوله
اولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيآتهم
ورزق كريم نعيم الجنة يعنى لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى
الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر
مبتداء محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعنى ان حالهم فى كراهة ما رايت
من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب والثانى ان ينتصب
على انه صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله الانفال لله والرسول اى الانفال
استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك
اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة
نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه
بالحق اى اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذى لا محيد عنه وان فريقا
من المومنين لكارهون فى موضع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك
ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله
فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ
اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء
على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا
وقد رات اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها انى رايت
عجبا رايت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم

يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها
العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبا نساؤهم
فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فى المثل السائر لا فى العير ولا فى
النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس
الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم
القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم
يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب
تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم
احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى عليه السلام اصحابه
وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول
فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو
فتغير وجه رسول الله عليه السلام ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على
ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير
ودع العدو فقام عند غضب النبى عليه السلام ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسنا
ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن
ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول
الله امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو
اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين

منا تطرف فضحك رسول الله عليه السلام ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد
الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى
تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه
ابناءنا ونساءنا فكان النبي عليه السلام يتخوف ان لا تكون الانصار لا ترى عليهم
نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا
يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به
هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة
فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا
هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان
تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله ان يريك
منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله ونشطه قول
سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين
والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله حين
فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه
لا يصلح فقال له النبي عليه السلام لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك فكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا
من المؤمنين والحق الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير لايثارهم
على تلقي العير بعدما تبين بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم
قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك

لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسارون بهم
الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار
الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها
وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه
ما كان فيهم الا فارسان لكم منصوب باضمار اذكروا انها لكم بدل
من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات
الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت
في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة
الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنه قولهم شائك السلاح
اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة
ولا تريدون الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه
بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من
نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر
والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر
عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف
الامور وان لا تلقوا ما يرزأكم في ابدانكم واموالكم والله عز وجل يريد
معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة
والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم
الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم

وَأذلّهم وحصّل لكم ما لا يعارض أدناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد **فإن قلت** بم تعلّق قوله ليحق الحق **قلت** بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله إلّا لهما وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه **فإن قلت** أليس هذا تكريراً **قلت** لا لأن المعنيين متباينان وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض ويجب أن تقدّر المحذوف متأخراً حتى تفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلّق بيقطع **فإن قلت** بم تعلّق إذ تستغيثون **قلت** هو بدل من إذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أي رب انصرنا على عدوّك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومدّ يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر رضي الله عنه فألقاه على منكبيه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك

أنّي ممدّكم أصله بأني فحذف الجارّ وسلّط عليه استجاب فنصب محلّه وعن أبي عمرو أنه قرأ إني ممدّكم بالكسر على إرادة القول أو على إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من القول **فإن قلت** هل قاتلت الملائكة يوم بدر **قلت** قد اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل عليه السلام في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الأحزاب ويوم حنين وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود رضي الله عنه من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصاً قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروي أن رجلاً من المسلمين بينا هو يشتد في أثر رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك قد خرّ مستلقياً وشق وجهه فحدّث الأنصاري رسول الله عليه السلام فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن أبي داود المازني تبعت رجلاً من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يديّ قبل أن يصل إليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثّرون السواد ويثبّتون المؤمنين وإلا فملك واحد كافٍ في إهلاك أهل الدنيا كلهم فإن جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد ثمود وقوم

صالح بصيحة واحدة وقرئ مُرْدِفِين بكسر الدال وفتحها من قولك
رَدِفَهُ اذا تبعه ومنه قوله تع رَدِفَ لكم بعض الذى يستعجلون
بمعنى ردفكم وأردفته اياه اذا اتبعته ويقال أردفته كقولك
أتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى
مُتْبِعين او مُتَّبِعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون
بمعنى متبعين بعضهم بعضًا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى
متبعين اياهم المؤمنين اى يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او
متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم
ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين
او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى فى سورة
آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من
الملائكة مسوّمين ومن قرأ مُرْدَفِين بالفتح فهو بمعنى مُتْبَعِين
او مُتَّبِعين وقرئ مُرِدِّفِين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال
وأصله مُرْتَدِفِين اى مترادفين او متبعين من ارتدفه
فادغمت تاء الافتعال فى الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء
بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم
وعن السدّى بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما فى سورة
آل عمران **فان قلت** ثم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر
المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم

قلت بأن المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم
الذين من سواهم أتباع لهم **فان قلت** الام يرجع الضمير فى
وما جعله **قلت** الى قوله انى ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم
بامدادكم **فان قلت** ففيمن قرأ بالكسر **قلت** الى قوله انى
ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو فى معنى القول ويجوز ان يرجع الى
الامداد الذى يدل عليه ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة
لبنى اسرائيل يعنى انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد
بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم على قلوبكم وما النصر الا من
عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله
لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند
الله والمنصور من نصره الله اذ يغشاكم بدل ثان من اذ يعدكم او
منصوب بالنصر او بما فى من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله
او باضمار اذكر وقرئ يُغْشِيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس
والضمير لله عز وجل وأمنة مفعول له **فان قلت** اما وجب
ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا **قلت** بلى
ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب أمنة على
ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون أمنا اى لامنكم ومنه
صفة لها اى أمنة حاصلة لكم من الله **فان قلت** نعم
فى غير هذه القراءة **قلت** يجوز ان تكون الامنة بمعنى الايمان

أي ينعسكم إيماناً منه أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمناً فأمن
قلت هل يجوز أن تنصب على أن الأمنة للنعاس الذي
هو فاعل يغشاكم أي يغشاكم النعاس لأمنه على أن إسناد الأمن
إلى النعاس إسناد مجازي وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة
أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك
الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وإنما غشيكم أمنة حاصلة
له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت
لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من
قال يهاب النوم أن يغشى عيوناً تهابك فهو نفار شرود وقرئ
أمنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حيي حياة ونحو أمن أمنة
رحم رحمة والمعنى أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم
فلما طأمن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله
عنهما النعاس في القتال أمنة من الله تعالى وفي الصلوة وسوسة
من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي ما ليطهركم
به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال
ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش
وقيل الجنابة لأنها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك
أن إبليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء ونزل المؤمنون
في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم

فإن تابوا عن الكفر ونقض العهد فإخوانكم فهم إخوانكم على حذف
المبتدإ كقوله تعالى فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ونفصل
الآيات ونبينها وهذا اعتراض كأنه قيل وإن من تأمل تفصيلها
فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين
المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه
فقاتلوا أيمة الكفر فقاتلوهم فوضع أيمة الكفر موضع ضميرهم إشعارا
بأنهم إذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام
الأوفياء من العرب ثم آمنوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وصاروا
إخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام ونكثوا
ما بايعوا عليه من الإيمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون
في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم أيمة الكفر وذووا
الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا إذا طعن الذمي
في الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لأن العهد معقود معه على أن
لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة إنهم لا أيمان
لهم جمع يمين وقرئ لا إيمان لهم أي لا إسلام لهم أو لا يعطون الأمان
بعد الردة والنكث ولا سبيل إليه **فإن قلت** كيف أثبت لهم الأيمان
في قوله وإن نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم **قلت** أراد
أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست
بأيمان وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن يمين الكافر لا تكون

يمينا

يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه أنهم لا يوفون بها
بدليل أنه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا
أيمة الكفر أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من
العظائم أن تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا
من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد
فإن قلت كيف لفظ أيمة الكفر **قلت** همزة بعدها
همزة بين بين أي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين
قراءة مشهورة وإن لم تكن بمقبولة عند البصريين وأما التصريح
بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون ومن صرح بها فهو لاحن
محرف ألا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا على
بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا
أيمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا بإخراج الرسول من مكة
حين تشاوروا في أمره بدار الندوة حتى أذن الله له في الهجرة فخرج
بنفسه وهم بدءوكم أول مرة أي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة
لأن رسول الله صلعم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا
عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادئون بالقتال
والبادي أظلم فما يمنعكم من أن تقابلوهم بمثله وأن تصدموهم
بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما
يوجب الحض عليها ويقرر أن من كان في مثل صفاتهم من نكث

العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق
بان لا يترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم
تقرير على الخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه
فتقاتلوا اعداءه إن كنتم مومنين يعني ان قضية الإيمان
الصحيح ان لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله
ولا يخشون احدًا الا الله لما وبخهم الله تع على ترك القتال جرد لهم
الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم
انه يعذبهم بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة
عليهم ويشف صدورهم طائفة من المومنين وهم خزاعة
قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبأ
قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدًا فبعثوا الى رسول الله
يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ
قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصّل الله لهم هذه المواعيد كلها
وكان ذلك دليلا على صدق رسول الله عليه وصحة نبوته ويتوب
الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب
عن كفره وكان ذلك فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ
ويتوب الله بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به
الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان
حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها

التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه
حتى يتبين الخلص وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه
الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول
الله عليه والمومنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان
تبين ذلك واتضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا
دينهم لله تع يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف
على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله
المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون
الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد
بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد
ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان
يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة
المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان
كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا
لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد
الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لان طريقه طريقة
الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن
من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى
ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات
الله تع

مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور
كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة
ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما
طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك
هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على
اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب رضي الله عنه يوبخ
العباس بقتال رسول الله عليه وقطيعة الرحم واغلظ له في
القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا
فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر
المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت
حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة
فاذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا
تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شاهدين
حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة
بالكفر على انفسهم في حالة واحدة وذلك محال غير مستقيم انما يعمر
مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما تستقيم عمارة هولاء وتكون
معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها
وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر
ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له

له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث
وعن النبي عليه يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون
المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا
لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في
المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه قال
الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها
فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم
زائره وعنه عليه من الف المسجد الفه الله تعالى وقال عليه
اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس
رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة
العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه فان قلت
هلا ذكر الايمان برسول الله عليه قلت لما علم واشتهر ان
الايمان بالله تعالى قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة
والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما
شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان
بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة
وايتاء الزكوة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن
يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها قلت هي الخشية
والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضى الله تعالى

رضا غيره لتوقع مخوف ولذا اذا عرضه امران احدهما حق الله تعالى
والآخر حق نفسه ان يخاف الله تعالى فيؤثر حق الله على حق نفسه
وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية
عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن
مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها
وافتخروا بها واملوا عاقبتها بان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم
العمل بالشرايع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر
بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون
ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمومنين في ترجيح
الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى السقاية والعمارة
مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف
تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن
بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء
سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون
بالمومنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل
تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود
نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه
فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان عليا رضي الله عنه قال
للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله فقال الست

في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله تعالى واعمر المسجد الحرام فلما
نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام
اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا هم اعظم درجة عند الله
تعالى من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون
لا انتم والمختصون بالفوز دونكم فرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل
وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي في المهاجرين خاصة كان
قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه
الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا
في الدين قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا
وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت
فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقربائه
فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل
نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم
وعن النبي عليه السلام لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض
في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه
وقرئ عشيراتكم وعشائركم وقرا الحسن وعشايركم فتربصوا حتى ياتي
الله بامره وعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو فتح مكة وعن الحسن
عقوبة عاجلة او اجلة وهذه اية شديدة لا ترى اشد منها كانها

ينبغي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل
اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد
عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب
له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن
وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي الله عنه أحقر
شيء منها لمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن
أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب
فطيّره مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال وكم موطن لولاي
طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعه
من الصرف لأنه جمع على صيغة لم يأت عليها الواحد والمواطن
الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة
فإن قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين
على المواطن **قلت** معناه وموطن يوم حنين أو في أيام
مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل
الحسين رضي الله عنه على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا
بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله إذ أعجبتكم بدل
من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم
لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون
ناصبه فعلا خاصا به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر وحنين واد

قصة وقعة حنين

بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر
ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما إليهم ألفان من الطلقاء
وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامّهم من
إمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من
المسلمين لن نغلب اليوم فساءت رسول الله عليه وقيل قائلها
رسول الله عليه وقيل أبو بكر رضي الله عنه وذلك قوله أعجبتكم كثرتكم
فاقتتلوا قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة
وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلّهم
مكة وبقي رسول الله عليه وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه
إلا عمه العباس آخذا بلجام دابته وأبو سفيان بن الحرث
ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته
ورباطة جأشه وما هي إلا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني
بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى
الأنصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب البقرة
فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم
البياض على خيول بلق فنظر رسول الله عليه إلى قتال المسلمين
فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم
به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأني
أنظر إلى رسول الله يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية

والبا، بمعنى مع اى رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار
والمجرور فى موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اى ملتبسا بها لم
احلها يعنى مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم
اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين
ثم انزل الله سكينته رحمته التى سكنوا بها وامنوا وعلى المؤمنين
الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله عليه حين وقع
الهرب وانزل جنودا لم تروها يعنى الملائكة وكانوا ثمانية آلاف
وقيل خمسة الاف وقيل ستة عشر الفا وعذب الذين كفروا
بالقتل والاسر وسبى النساء والذرارى ثم يتوب الله اى يسلم
بعد ذلك ناس منهم وروى ان ناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله عليه
على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبى
اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبى يومئذ ستة الاف
نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندى ما ترون
ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم
قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله فقال ان
هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا
بالاحساب شيئا فمن كان بيده شئ وطابت نفسه ان يرده فشانه
ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه
مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى

فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا
النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس
لان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون
ولا يجتنبون النجاسات فهى ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة
بعينها مبالغة فى وصفهم بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما
اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح
مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ
نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه
قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء
تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد فى كبد فلا يقربوا المسجد
الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون فى الجاهلية بعد عامهم
هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر
ابو بكر رضى الله عنه على الموسم وهو مذهب ابى حنيفة واصحابه رحمهم
الله ويدل عليه قول على رضى الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج
بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام
وسائر المساجد عندهم وعند الشافعى يمنعون من المسجد الحرام خاصة
وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء
ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله
ونهى المشركين ان يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه

وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه
ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين
من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب
فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه
اخر فارسل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم
واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش
به وكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن
عباس رضي الله عنهما القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال
من اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم
بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر
كالعافية او حالا عائلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة
اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي
ولا يمنع الا عن حكمة وصواب من الذين اوتوا الكتاب بيان
للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية
والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الاخر فيه على خلاف ما يجب
وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب
والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التورية والانجيل
وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق
وما سواه الباطل وقيل دين الله تعالى فلان يدين بكذا اذا

اتخذه

اتخذه دينه ومعتقده سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة
ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء
عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطي او الآخذ فمعناه على
ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مواتية غير ممتنعة
لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا
اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن
الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها
عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي
الى يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد
قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية وترك ارواحهم
لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار
والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو
قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال
له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي
حنيفة رحمه الله تضرب على كل كافر ذمي ومجوسي وصابئ
وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله
عليه السلام صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب
وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب
وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والماخوذ

عند ابي حنيفة رحمه الله في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنى عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرا احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما جاء رسول الله عليه سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير عليه السلام وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب فان قلت كل قول يقال بالفم

ذلك الاثر العظيم واثبت الرمية لرسول الله لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقرئ ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه وتعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن

يعني علم بالتاء للفصل ولا تولوا قرى بطرح احدى التائين وادغامها والضمير
في عنه لرسول الله لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق
ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول
فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك
الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة
اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تتولوا عن
رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون لستم
كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع
وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى
انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في
بعض الامور قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه
سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب اي ان شر من يدب
على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه
جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله في هؤلاء الصم
البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع
المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف
فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا
ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان
مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم
عمي

المصعب القرشي ... بن سعى الرجلان مصعب ...

عما جاء به محمد ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء
وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم
وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابة
وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال
وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبي عليه السلام
مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء
فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي
الي استجيبوا لله وللرسول قال بلى لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان
احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله والثاني ان دعاءه كان
لامر لم يحتمل التاخير ولو وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلاته لما يحييكم
من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما ان الجهل موت
يقول لا يعجبن الجاهل ثوبه الفاجر لانه ميت وثوبه مثل الكفن وقال بعضهم
لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار
لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل
للشهادة لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
يعني انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهو التمكن من اخلاص
القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا
هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم بطاعة الله ورسوله واعلموا انكم
اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة

وقيل معناه أن الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير
نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالأمن خوفا وبالذكر نسيانا
وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فأما
ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة على
أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر وبينه وبين الكفر إذا آمن تعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه أنه يطلع على كل
ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكأنه بينه وبين قلبه
وقرئ بين المرّ بتشديد الراء ووجهه أنه قد حذف الهمزة وألقى حركتها
على الراء كالخبّ ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمرّ
فتنة ذنبا قيل هو إقرار المنكر بين أظهرهم وقيل افتراق الكلمة
وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من أن يكون جوابا للأمر
أو نهيا بعد أمر أو صفة لفتنة فإذا كانت جوابا فالمعنى إن أصابتكم
لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء
بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب وإذا كانت نهيا
بعد أمر فكأنه قيل واحذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم
فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك إذا
جعلته صفة على إرادة القول كأنه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن
ونظيره قوله حتى إذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط
أي بمذق مقول فيه هذا القول لأنه سمار فيه لون الورقة التي هي لون

الذئب وتعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لتصيبن
على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة
والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها وما أرانا
من أهلها فإذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في أهل بدر فاقتتلوا
يوم الجمل وروي أن الزبير كان يساير الرسول صلى الله عليه وسلم يوما إذ أقبل علي رضي
الله عنه فضحك إليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال
يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني أحبه كحبي لولدي أو أشد حبا قال فكيف أنت
إذا سرت إليه تقاتله **فإن قلت** كيف جاز أن تدخل النون
المؤكدة في جواب الأمر **قلت** لأن فيه معنى النهي إذا قلت انزل عن
الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم **فإن قلت**
فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم **قلت** التبعيض على الوجه الأول
والتبيين على الثاني لأن المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لأن الظلم
أقبح منكم من سائر الناس إذ أنتم نصب على أنه مفعول به مذكور
لا ظرف أي اذكروا وقت كونكم أقلة أذلة مستضعفين في الأرض أرض
مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش تخافون أن يتخطفكم الناس لأن الناس
كانوا جميعا لهم أعداء منافين مضادين فآواكم إلى المدينة وأيدكم
بنصره بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات
من الغنائم لعلكم تشكرون إرادة أن تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان
هذا الحي من العرب أذل الناس وأشقاهم عيشا وأعراهم جلدا وأبينهم

يوكلون ولا يأكلون فمكّن الله لهم في البلاد ووسّع عليهم في الرزق والغنائم
وجعلهم ملوكاً معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه
تخوّنه اذا تنقّصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل
في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو
الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكأنه لم يفِ له ومنه
قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطّلوا فرائضه ورسوله
بان لا تستنّوا به وأماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة
ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد
منكم عن تعمّد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن
الحسن وروي ان نبي الله عليه حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين
ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى
اذرعات واريحا من ارض الشام فأبى رسول الله الا ان ينزلوا على
حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن
المنذر وكان مناصحاً لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم
فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه
انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت
الله ورسوله فنزلت فشدّ نفسه على سارية من سواري المسجد
وقال والله لا اذوق طعاماً ولا شراباً حتى اموت او يتوب الله
عليّ فمكث سبعة ايام حتى خرّ مغشيّاً عليه ثم تاب الله عليه فقيل

له قد تيب عليك فحلّ نفسك فقال لا والله لا احلّها حتى يكون رسول الله
هو الذي يحلّني فجاءه فحلّه بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر
دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه
يجزيك الثلث ان تتصدّق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن
عفان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من
فرائضه وحدوده فان قلت وتخونوا جزم ام نصب قلت
يحتمل ان يكون جزماً داخلاً في حكم النهي وان يكون نصباً باضمار ان
كقوله وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد جعل
الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او
العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده
وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه
هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى
تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله عز وجل المال والبنون الاية وقيل
هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقاناً
نصراً لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام
باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بياناً وظهوراً يشهر امركم ويبث
صيتكم وآثاركم في اقطار الارض من قولهم بتّ افعل كذا حتى سطع الفرقان
اي طلع الفجر او مخرجاً من الشبهات وتوفيقاً وشرحاً للصدور او تفرقة
بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلاً ومزية في الدنيا والآخرة لما

فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته
من مكرهم واستيلائه عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى
واذكر إذ يمكرون بك وذلك أن قريشا لما أسلمت الأنصار وبايعوه
فرقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره
فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا
من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم
ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في
بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه
وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون فقال إبليس بئس الرأي
يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن
عمرو رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم
ما صنع واسترحتم فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم
بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه
سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل
فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه
واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا
على رأي أبي جهل مجمعين على قتله فأخبر جبريل رسول الله عليه السلام
وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن الله له في الهجرة فأمر عليا فنام
في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه وباتوا

متربصين فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا عليا رضي الله عنه
فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فأبطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك
أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى أثبتوه
لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد
وقرأ النخعي ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالإيثاق ويمكرون ويخفون
المكائد له ويمكر الله ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة والله
خير الماكرين أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا أو لأنه لا ينزل
إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب لو نشاء لقلنا
مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم
لو ساعدتهم الاستطاعة وإلا فما منعهم إن كانوا مستطيعين أن
يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى
دونه مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا في باب البيان خاصة
وأن يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة مع ما علم وظهر ظهور الشمس
من حرصهم على أن يقهروا رسول الله وتهالكهم على أن يغمزوا ومن
وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص
الله أحاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء
من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم أن هذا
مثل ذاك وأنه من جملة تلك الأساطير وهو القائل إن كان هذا هو

الحق وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعني إن كان القرآن هو الحق
فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب
آخر ومراده نفي كونه حقاً وإذا انتفى كونه حقاً لم يستوجب منكره عذاباً
فكان تعليق العذاب بكونه حقاً مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه
بالمحال في قولك إن كان الباطل حقاً فأمطر علينا حجارة وقوله هو
الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ
الأعمش هو الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهو في القراءة الأولى
فصل ويقال أمطرت السماء كقولك أنجمت وأسبلت ومطرت
كقولك سحبت وهطلت وقد كثر الإمطار في معنى العذاب فإن قلت
ما فائدة قوله من السماء والإمطار لا يكون إلا منها قلت كأنه
أريد أن يقال فأمطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع
حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من
حديد تريد درعاً بعذاب أليم أي بنوع آخر من جنس العذاب الأليم يعني
أن إمطار السجيل بعض العذاب الأليم فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه
وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم
امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله عم حين دعاهم
إلى الحق إن كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا
إن كان هذا هو الحق فاهدنا له اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن
تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لأن عادة الله وقضية

٢٦

حكمته أن لا يعذب قوماً عذاب استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم
وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم والدليل على
هذا الإشعار قوله وما لهم أن لا يعذبهم الله وإنما يصح هذا بعد إثبات التعذيب
كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم
وما لهم أن لا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار
عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون
ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله
معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن
رسول الله عم من المستضعفين وما لهم أن لا يعذبهم الله وأي شيء
لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة
وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول
الله عم عام الحديبية وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا
يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء
وما كانوا أولياءه وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا
ولاة أمره وأربابه إن أولياؤه إلا المتقون من المسلمين ليس كل
مسلم أيضاً ممن يصلح لأن يلي أمره وإنما يستأهل ولايته من كان برّاً
تقياً فكيف بالكفرة عبدة الأصنام ولكن أكثرهم لا يعلمون كأنه
استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالأكثر

الجميع كما بولغ بالقلة بالعدم المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو
إذا صفر ومنه المكّاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة نحو الوضاء
والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والبكا والتصدية التصفيق
تفعلة من الصدا أو من صد يصد إذا قومك منه يصدون وقرأ الأعمش
وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فإن قلت
ما وجه هذا الكلام قلت هو من قوله وما كنت أخشى أن يكون
عطاؤه أداهم سودا أو محدرجة سمرا والمعنى أنه وضع القيود والسياط
موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا
يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون
فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله عليه السلام في
صلاته يخلطون عليه فذوقوا العذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب
كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم
بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل
من كانت له تجارة في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا
ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر وقيل نزلت في أبي سفيان
وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش
من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون
مثقالا ليصدوا عن سبيل الله أي كان غرضهم في الإنفاق الصد
عن اتباع محمد عليه السلام وهو سبيل الله وإن لم يكن عندهم كذلك ثم تكون

عليهم حسرة أي تكون عاقبة إنفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها
تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الأمر وإن كانت الحرب بينهم
وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لأغلبن
أنا ورسلي والذين كفروا والكافرون منهم إلى جهنم يحشرون لأن منهم
من أسلم وحسن إسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار
من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه
على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله
كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم أولئك إشارة
إلى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون
في عداوة رسول الله عليه السلام من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون
كأبي بكر وعثمان رضي الله عنهما في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في
جملة ما يعذبون به كقوله ثم فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام
على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الأول بيحشرون
وأولئك إشارة إلى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف قل للذين
كفروا من أبي سفيان وأصحابه أي قل لأجلهم هذا القول وهو إن ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل إن تنتهوا
يغفر لكم وهي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ونحوه وقال الذين كفروا
للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه خاطبوا به غيرهم لأجلهم
ليسمعوهم أي إن ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله عليه السلام وقتاله
بالدخول في الإسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وإن يعودوا لقتاله

وقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد
مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا
مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر
واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل
الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا
الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق
الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله في ان
المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها
وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله عز وجل
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين
كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان
انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم
واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون
من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر
الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا
فان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته انما غنمتم
ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله
مبتدا خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى
الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه

والمشهور آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس
فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف
الخبر واحتمل غيره واحدا من المقدرات كقولك ثابت وواجب وحق ولازم وما
اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون
فان قلت كيف قسمة الخمس قلت عند ابي حنيفة رحمه الله
انها كانت في عهد رسول الله على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه
من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ
بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله
هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا
بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام
انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد
وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل
واما بعد رسول الله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون
لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين
وابن السبيل واما عند الشافعي فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله عليه السلام
يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع
والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم
للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن انس
الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه

بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى وأهم فغيرهم **فان قلت**
ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه **قلت** يحتمل أن يكون
معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله احق أن يرضوه وأن يراد بذكره
ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب هذه خمسة لتم
من حق الخمس أن يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه
الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب
الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية إنه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى
يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله عليه السلام يأخذ الخمس فيضرب
بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله تعالى ثم يقسم
ما بقي على خمسة وقيل إن سهم الله تعالى لبيت المال وعلى الثالث مذهب
مالك ابن انس وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان على ستة
لله وللرسول سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى ابو بكر رضي الله
الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر رضي الله ومن بعده من الخلفاء رضي
الله عنهم وروي أن ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال
انما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فهو بمنزلة
ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ويتيم موسر وعن زيد بن علي
رضي الله كذلك قال ليس لنا أن نبني منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين
وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه أنه قيل له إن
الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن

في سهم رسول الله عليه السلام أنه لولي الامر من بعده وعن الكلبي أن الآية
نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد
بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا
من الهجرة **فان قلت** بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله **قلت**
بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا
أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم
واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه
العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي
فيه المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم آمنتم
بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عُبُدنا كقوله وعبد الطاغوت
بضمتين يوم الفرقان يوم بدر الجمعان الفريقان من المسلمين
والكافرين والمراد ما انزل عليه من الآيات والملائكة
والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على أن ينصر القليل على
الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم إذ انتم بدل من يوم
الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن
وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا
غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تأنيث الادنى والاقصى
فان قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء
والثانية بالواو **قلت** القياس هو قلب الواو ياء كالعليا

القياس قلب الواو ياء اذا كان اسما وتقرأ صفة لكن ... استعمالها صار بمنزلة الاسم لانه لم يذكر موصوفه

وأما القصوى فكالقود في مجيئه على الأصل وقد جاء القصيا إلا أن
استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب
وأغيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى
مما يلي مكة والركب أسفل منكم يعني الركب الأربعين الذين كانوا
يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف
معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لأنه خبر للمبتدأ
فإن قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن
العير كانت أسفل منهم قلت الفائدة فيه الإخبار عن
الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد
أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم
وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعا من الله تعالى ودليلا
على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن
العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت
أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل
ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو
مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ
في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب
بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على
بذل جهيداهم في القتال وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز

اليه

اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا
مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم
وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضي الله أمرا كان
مفعولا من إعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى
الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في
الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله عليه لأموالهم
حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة
الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى
قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم أنتم وأهل مكة
وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا
فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب
رسول الله عليه والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له
ليقضي متعلق بمحذوف أي ليقضي أمرا كان واجبا أن يفعل وهو نصر
أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك
والحياة للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة
شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن
يقين وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به
وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من
كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام

ويحيى باظهار التصحيح لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم
او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه اذ يريكهم الله
نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم
اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز
وجل اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم
وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم
كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب
الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته
لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الرأي وتفرقت فيما تصنعون
كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة
من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون
فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم الضميران مفعولان
يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا
لرؤيا رسول الله عليه السلام وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا
قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى
جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم
كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور
فان قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهر
فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم قلت قد قللهم في اعينهم

قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم
الكثرة فيبهتوا ويخافوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم
وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم
الاحتجاج عليهم في استيضاح الآية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا
فان قلت باي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بان
يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به
الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل
لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد
فقال فما لي لا ارى هذين الديكين اربعة اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة
من الكفار ترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار
واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا
في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على
عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون
بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر
عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان يكون نفسه
مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب
امير المؤمنين في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من
البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح
دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم الامر
ولا تنازعوا

ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم
لدخوله في حكم النهي وتدل على التقديرين قراءة من قرأ وتذهب ريحكم
بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح
الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل
هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره ومنه قوله اتنظران
ان قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعادي وقيل
لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع
لهم باحد لمخالفتهم رسول الله عليه من فشلهم وذهاب ريحهم
كالذين خرجوا من ديارهم هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير
فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم
فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا
القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم
الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمور وناحت
عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين
طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى
والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله تعالى واذ
زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله
عليه ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع

خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص
الشيطان وتبرأ منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا
عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل
لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة
من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن
مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين
معه راية وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما
رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام
فلما نكص قال له الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال
اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما
بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت
بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث
ما رؤي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما
يرى من نزول الرحمة الا ما رؤي يوم بدر فان قلت هلا قيل
لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا
لغالب بمعنى لا غالب اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره
لا غالب كائن لكم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم
مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم
على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام عن الحسن رحمه الله هم

قال الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه

المشركون غرّ هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغترّوا بدينهم وانهم
يتقوّون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر
الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب
يسلّط القليل الضعيف على الكثير القوي ولو ترى ولو عاينت وشاهدت
لانّ لو تردّ المضارع الى معنى الماضي كما تردّ ان الماضي الى معنى الاستقبال
واذ نصب على الظرف وقرئ يتوفّى بالياء والتاء والملائكة رفعها
بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير لله تعالى والملائكة
مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد رحمه الله ادبارهم استاههم
ولكنّ الله كريم يكني اي لم يقل استاههم وانما خصّهما بالضرب لان الخزي
والنكال في ضربهما اشدّ وبلغني عن اهل القبين ان عقوبة الزاني
عندهم ان يقبر ثم يعطي الرجل القوي البطش شيئا عمل من حديد
كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة
ولصق بقوته فيجده في حكاته وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر
وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا
عذاب الحريق اي مقدّمة عذاب النار او ذوقوا عذاب الآخرة
بشارة لهم يوم القيامه ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرايت امرا
فظيعا منكرا ذلك بما قدّمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله تعالى ومن
كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدّمت خبره وان الله ليس بظلام للعبيد
لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير

لاجل العبيد او لانّ العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان
المعذّب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمة الكاف في محل الرفع اي
دأبهم مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم الذي دأبوا فيه اي
داوموا عليه وواظبوا كفروا تفسير لدأب آل فرعون وذلك اشارة
الى ما حلّ بهم يعني ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم
يصحّ في حكمته ان يغيّر نعمته عند قوم حتى يغيّروا ما بهم من الحال
فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غيّر
الله نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فيغيّروها الى حال مسخوطة
قلت كما تغيّر الحال المرضية الى المسخوطة تغيّر الحال المسخوطة
الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول عليه السلام اليهم كفرة عبدة
اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزّبوا
عليه ساعين في اراقة دمه غيّروا حالهم الى اسوأ مما كانت فغيّر
الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وانّ الله
سميع لما يقول مكذّبو الرسل عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون تكرير
للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود
الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكلّ كانوا ظالمين
وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر
والمعاصي الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصرّوا على الكفر ولجّوا فيه
فلا يتوقّع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله عليه السلام

لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم ﴿الذين عاهدت منهم﴾ بدل من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود ﴿وهم لا يتقون﴾ لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار ﴿فإما تثقفنهم في الحرب﴾ فإما تصادفنهم وتظفرن بهم ﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارًا بهم واتعاظًا بحالهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لأنه إذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء وأوقعه فيه لأن الوراء جهة المشردين فإذا جعل الوراء ظرفًا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين ﴿لعلهم يذكرون﴾ لعل المشردين من ورائهم يتعظون ﴿وإما تخافن من قوم﴾ معاهدين ﴿خيانة﴾ ونكثًا بأمارات تلوح لك ﴿فانبذ إليهم﴾ فاطرح إليهم العهد ﴿على سواء﴾ على طريق مستوٍ قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم إخبارًا مكشوفًا بينًا أنك قطعت ما بينك

وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ فلا يكن منك إخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل فانبذ إليهم ثابتًا على طريق قصد سوي أو حاصلين على استواء في العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ إليهم معًا ﴿سبقوا﴾ فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم ﴿إنهم لا يعجزون﴾ إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزًا عن إدراكهم وقرئ أنهم بالفتح بمعنى لأنهم كل واحدة من المفتوحة والمكسورة تعليل إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجّزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزونِ بكسر النون وقرأ الأعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه أصله أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق واستشهد عليه بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا في موضع الحال بمعنى سابقين أي مفلتين هاربين وقيل يحذف الضمير لكونه مفهومًا وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الأقاويل كلها ملتمحة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين ﴿من قوة﴾ من كل ما يتقوى به في الحرب

من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله عليه يقول على المنبر
الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا
في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون ﴿ورباط﴾ اسم للخيل التي تربط
في سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون
جمع ربيط كفصيل وفصال وقرا الحسن ومن ربط الخيل بضم البا وسكونها
جمع رباط ويجوز ان يكون قوله من رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين
ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين انه سئل
عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال تشترى به الخيل فترابط
في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم
تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ﴿ترهبون به﴾ قرى
بالتخفيف والتشديد وقرا ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد تخزون به
والضمير في به راجع الى ما استطعتم ﴿عدو الله وعدوكم﴾ هم اهل مكة ﴿و
آخرين من دونهم﴾ هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي
هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان
لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل
الخيل يرهب الجن ﴿جنح له﴾ واليه اذا مال ﴿والسلم﴾ تؤنث تانيث
نقيضها وهي الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك
من انفاسها جرع وقري بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان الاية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون

بالله وعن مجاهد بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام
واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا
وقرا الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون ﴿وتوكل على الله﴾ ولا تخف
من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من
مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة ﴿فان حسبك الله﴾ فان محسبك
الله قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب
وتشبعوا ﴿والف بين قلوبهم﴾ التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول
الله عليه من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية
والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شي والقائه بين
اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم
على اتباع رسول الله واتحدوا وانشاوا يرمون عن قوس واحدة
وذلك لما نظم الله تعالى من الفتهم وجمع بين كلمتهم واحدث بينهم من
التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم
من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك
القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس
والخزرج كان بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك سادتهم
ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما
التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة

كل طايفتين كانت بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته
أختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا
على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا أعوانا وما ذاك
الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن اتبعك الواو بمعنى مع
وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف
الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال فحسبك والضحاك عضب مهند
والمعنى كفاك وكفى تبعك من المومنين الله ناصرا او يكون في محل
الرفع اى كفاك الله وكفاك المومنون وهذه الاية نزلت بالبيداء في
غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في اسلام
عمر رضي الله عنه وعن سعيد بن جبير رضي الله انه اسلم مع النبي
عليه ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه
فنزلت التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان
ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت او ان تسميه حرضا
ويقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر ومحرضا فيه ليهيجه ويحرك
منه وقرئ وحرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من
الحرص ويقال حركه وحرضه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة
من الله تعالى وبشارة بان الجماعة من المومنين ان صبروا
غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتاييده ثم قال
بانهم قوم لا يفقهون اى بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على

غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون
لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على
بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله تعالى وعن ابن
جريج كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان
رسول الله عليه السلام بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة
راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة
فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم
قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح
والضم كالمكث والمكث والعقر والعقر وضعفاء جمع ضعيف
وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد
بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة
في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى
الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده
قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة
لا تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف
وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين قرئ
للنبي على التعريف واسارى وتثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة
القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته
حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة

التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر وتضعفه باشاعة القتل
في اهله ويعز الاسلام وتقويته بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك
ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر
المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان النبي عليه السلام
اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب
فاستشار ابا بكر رضي الله عنه فيهم فقال قومك واهلك استبقهم
لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال
عمر رضي الله عنه كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم
فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا
من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له
فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال
حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال
حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم
قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك
يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال
لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب
عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم
واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا
باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين

اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية
اربعون درهما وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت
الاية فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله عليه السلام فاذا هو وابو بكر
يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت
وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم
الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة
منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب من السماء لما نجا منه
غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما لقوله كان الاثخان في
القتل احب الي عرض الدنيا حطامها سمي لانه حدث قليل
اللبث يريد الفداء والله يريد الاخرة يعني ما هو سبب الجنة من
اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرا بعضهم
والله يريد الاخرة بجر الاخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف
اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا معناه والله يريد
عرض الاخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز تغلب اولياؤه
على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه
حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب
من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب صح
احدا بالخطاء وكان هذا خطاء في الاجتهاد لانهم نظروا في ان
استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى
به على صح

الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب
لمن وراءهم وافل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية
التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه
لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك
فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها
فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم واتقوا
الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت ما معنى
الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت
لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم
او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه
انكم اذا اتقيتموه بعدما فرط منكم من استباحة الفداء قبل
ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم في ايديكم في ملكتكم
كان ايديكم قابضة عليهم وقرى من الاسرى في قلوبكم خيرا خلوص
ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان
يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الاخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم
خيرا وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني
فقال رسول الله عليه السلام ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك
فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا اطعام
اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي ان رسول الله قال للعباس افد

نفسك وابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال
يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي
دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري
ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد
الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي
قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك
عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد
الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال
العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان
ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي
بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي
انه قدم على رسول الله مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلوة
الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ
ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة
وقرأ الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل وان
يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة و
استحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به
ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رايتم
يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة

منع ما ضمنوا من الفداء الذين هاجروا اى فارقوا اوطانهم
وقومهم حبًّا لله ورسوله هم المهاجرون والذين آووهم الى ديارهم
ونصروهم على اعدائهم هم الانصار بعضهم اولياء بعض اى يتولى
بعضهم بعضًا فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون
بالهجرة والنصرة دون ذوى القرابات حتى نسخ ذلك بقوله عز وجل
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر
اى من توليهم فى الميراث ووجه الكسر ان تولى بعضهم بعضًا شبه
بالعمل والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرًا ويباشر
عملًا فعليكم النصر واجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم
منهم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصركم عليهم لانهم لا يبتدؤون
بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء
بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله فى المسلمين اولئك بعضهم
اولياء بعض ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم
وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان كانوا
وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضًا وتولى بعضهم بعضًا حتى فى
التوارث تفضيلًا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا
العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل
فتنة فى الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا
يدًا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرًا والفساد زائدًا وفى

ثم قال الا تفعلوه اى ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين

كثير بالثناء اولئك هم المومنون حقًّا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه
بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ
من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة
للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل
والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة
كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلًا منه وترغيبًا
واولوا الارحام اولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة
والنصرة فى كتاب الله فى حكمه وقسمته وقيل فى اللوح وقيل
فى القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به اصحاب ابى حنيفة
رضى الله عنهم على توريث ذوى الارحام عن رسول الله عليه السلام
من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد
انه برئ من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق
ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته فى الدنيا

سورة التوبة مدنية وهى مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون آية

لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة
المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة
المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المومنين وهى
تقشقش من النفاق اى تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين اى

تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم
وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة التوبة
وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه
فان قلت هلا صدرت باية التسمية كما في سائر السور قلت
سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال ان
رسول الله اذا نزلت عليه السورة او الآية قال اجعلوها في
الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين
لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت
بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا
ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن
عيينة فقال اسم الله سلام لست مؤمنا قيل فان النبي عليه السلام
قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء
يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى
فمن دعي الى الله فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى
واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم
وقالوا لا يقال لهم لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا
امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما
نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها
المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة

إحدى الطول وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال
وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما
فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال
هما سورة واحدة براءة خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية
متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه
براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من
فلان الى فلان ويجوز ان تكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر
الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب
على اسمعوا براءة وقرأ اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح
مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد
الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فان قلت
لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت
قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم
فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله
قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي انهم عاهدوا المشركين من
اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة
وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض
اربعة اشهر آمنين اين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله

فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل و
القتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة
ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامّر رسول الله عليه السلام
ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله
عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها
الى ابي بكر رضي الله عنه فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي
رضي الله عنه سمع ابو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف وقال هذا
رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور
وروي ان ابا بكر رضي الله عنه لما كان ببعض الطريق هبط
جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك
فارسل عليا رضي الله عنه فرجع ابو بكر رضي الله عنه الى رسول الله
عليه السلام فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت
على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب
ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه
يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله
اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية وعن
مجاهد ثلث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد
هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة
الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ

ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا
وبينه الا الطعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما
امران يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها
ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر رضي الله عنه
لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فازيحت
علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه فان قلت الاشهر
الاربعة ما هي قلت عن الزهري ان براءة نزلت في شوال
فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي
عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر
من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم
وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر
من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة
كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية
في ذي الحجة فان قلت ما وجه اطباق الكثر العلماء على جواز
مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله تعالى عن ذلك قلت
قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين فيها غير معجزي
الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي
الآخرة بالعذاب واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة
معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال

عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والأذان بمعنى الإيذان
وهو الإعلام كما ان الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء
فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية قلت
تلك إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت فان قلت
لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس
قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما
الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث
من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الأكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر
لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي
وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الأكبر
قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله
صلعم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر
ووصف الحج بالأكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات الحج وكذلك ان
اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الأكبر وعن
الحسن رحمه الله سمي يوم الحج الأكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته
لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن
وكافر حذفت الباء التي هي صلة الأذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر
لان الأذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء او على محل
ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو

بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك
ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال ان كان الله بريئا من
رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر رضي الله عنه فحكى الأعرابي
قراءته فعندها امر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر
فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والإعراض عن
الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين اخذه
وعقابه فان قلت مم استثني قوله الا الذين عاهدتم قلت
وجهه ان يكون مستثنى من قوله ثم فسيحوا في الارض لان الكلام
خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم
من المشركين فقولوا لهم الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم
فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد
ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم
ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين
يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا
الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط
ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة
عيبة رسول الله صلعم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن
سالم الخزاعي على رسول الله فانشده لاهم اني ناشد محمدا حلف
ابينا وابيك الاتلدا ثم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا

... تعالى سلخت الشهر اذا اخرجت منه وكتب ابو الهيثم من هذا المعنى فقال يقال اهللنا هلال شهر كذا اى دخلنا فيه ... ثم يزداد كل ليلة الى خفى نصفه ثم نسلخه عن انفسنا بعد تكامل النصف منه جزءًا فجزءًا حتى نسلخه عن انفسنا كله ...
... اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله كفى قاتلا سلخى الشهور واهلالى واقول ... تمام البيان فيه ان الزمان محيط بالشئ وظرف له كالمكان محيط به وظرف له ومكان الشئ عبارة عن السطح الباطن من الجسم الحاوى المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوى واذا سلخ الشئ من جلده فقد انفصل من السطح الباطن من ذلك الجلد وذلك السطح هو مكانه فى الحقيقة فكذلك اذا تم الشهر فقد انفصل عن اجل ذلك الشهر به ودخل فى شهر آخر فالسلخ اسم لانفصال الشئ عن مكانه المعين فجعل ايضا اسما لانفصاله عن زمانه المعين لما بين المكان والزمان من المناسبة التامة الشديدة

ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا وقال عليه السلام لانصرت
ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اى لم ينقضوا عهدكم ومعنى
فاتموا اليهم عهدهم فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضى الله عنهما
بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم انسلخ
الشهر كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر الحرم التى ابيح فيها
للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعنى الذين نقضوكم وظاهروا
عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخذ
الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف فى البلاد وعن
ابن عباس رضى الله عنهما حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد
الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على
الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا
عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل
لمن يبنى المنارة وعن ابن عباس رضى الله عنهما دعوهم واتيان المسجد
الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر احد
مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك
احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا
تدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء
الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو
اليه من التوحيد والقرآن ويتبين ما بعثت له فامنه حتى

يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك
داره التى يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة
وهذا الحكم ثابت فى كل وقت وعن الحسن هى محكمة الى يوم القيامة
وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه جاء رجل من المشركين الى على رضى
الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتى محمدا بعد انقضاء هذا
الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول
وان احد من المشركين استجارك الآية وعن السدى والضحاك هى
منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اى ذلك الامر يعنى الامر بالاجارة
فى قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة
ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق
كيف استفهام فى معنى الانكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد
عند رسول الله وهم اضداده وغرة صدورهم يعنى محال ان يثبت لهؤلاء
عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا فى قتلهم ثم استدرك
ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد
الحرام ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم
فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين
يعنى ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات
المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتمانى
انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد فكيف مات

اى كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعدما سبق لهم
من تأكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم
لا يرقبوا الّا لا يراعوا حلفًا وقيل قرابة وانشد لحسان لعمرك ان الّك
من قريش كالّ السقب من رال النعام وقيل الّا الها وقرى
إيلًا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق
الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال
بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من
الال وهو الجؤار وله الّ اى انين يرفع به صوته ووعت الليها اذا
ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق الّ وسميت به القرابة لان
القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام
مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد
الثبات منهم على العهد وابآء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان
لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون
متمردون خلعاء لا مروة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد
ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم
العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بايات الله بالقرآن
والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله
فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم
ابو سفيان واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة

فان

في أدبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا والعرش امر الخلق كله واو
تلك كرت السموات والارض والعرش فان قلت ما موقع
هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه
بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء
على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج
امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا
بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وذلكم اشارة
الى المعلوم بتلك العظمة اى ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم
وهو الذى يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض
خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع افلا تذكرون
فان ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطا فيما انتم عليه اليه مرجعكم
جميعا اى لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد الله
مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله
انه يبدأ الخلق ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه
وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء
المكلفين على اعمالهم وقرى انه يبدأ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب
بالفعل الذى نصب وعد الله اى وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم اعادته
والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرى وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ

من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اى حق حقا بدأ الخلق كقوله اجقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا على رقيب وقرئ حق انه يبدأ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزى والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الياء فى ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل فى عاق عقا والضياء اقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او وقدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالى ذلك اشارة الى المذكور اى ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل بالياء خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب ان يخاف

ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى كقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب ولذلك جعل تجرى من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم فى الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فان قلت فلقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذى يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذى لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل الصالح كأنه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اى بايمانهم هذا

المضموم اليه العمل الصالح وهو بيّنٌ واضح لا شبهة فيه دعويهم
دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبّحك كقول القانت
في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد
بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان
لاتكليف في الجنة ولاعبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه
وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله
وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية وآخر دعويهم وخاتمة
دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى
وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيّي بعضا بالسلام وقيل هي
تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله
لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير
للشان لقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله
بالتشديد ونصب الحمد اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم
للخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة
اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل
لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء
يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم
اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم
على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله

اجلهم

اجلهم فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا
وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل
كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم
يعمهون اى فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما
للحجة عليهم لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه
اى دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما فائدة
ذكر هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر
عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها
كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء او كان قاعدا
لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان
يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان
يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش
ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام
وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان
للجنس مر اى مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال
الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد
له به كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان
قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين
الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته كانوا

يعملون من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات لما ظرف
لأهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم
رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما
كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا
واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم
وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان
مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم
الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل
كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على
اجرامهم بتكذيب رسول الله وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم الخطاب
للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في
الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر أتعملون خيرا او شرا فنعاملكم
على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى
الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت
كيف جاز النظر على الله وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار
للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان
المعاين في تحققه غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان
والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا
من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة

وتسقط

وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بان يجيب عن التبديل لانه
داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب
آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الآلهة واما الاتيان بقرآن
آخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل
لي كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي
وقرئ بفتح التاء من غير ان يأمرني بذلك ربي ان اتبع الا ما
يوحى الي لا آتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره
ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت
التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي
بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان قلت
اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا
ائت بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز
وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على
الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمون انه قادر عليه وعلى
مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا
عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا
ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت به من جهته
وارادوا بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي ولا يمكنني ان ابدله
[illegible] قوله اني اخاف ان عصيت ربي

فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا
الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه
انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما
اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد
منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا
منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله
لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة
الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان
يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره
ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا
يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا
بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون
ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم
اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم
شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به
احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادراكم به ولا
اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادرأتكم به على لغة من
يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده
قراءة ابن عباس رضي الله عنه ولا انذرتكم به ورواه الفراء
ولا

ولا ادرأتكم به بالهمزة وفيه وجهان احدهما ان تقلب
الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وذلك لان
الالف والهمزة من واد واحد ولهذا الا ترى ان الالف اذا مستها
الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته
وادرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني
بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولادراكم به بلام الابتداء لاثبات
الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولاعلمكم به على
لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني
بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت
فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا
وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه
ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا
تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب
عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء
اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين
على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا
مما اضافوه اليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الاوثان
التي هي جماد لا يقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها
لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون

مُنيبًا على الطاعة مُعاقِبًا على المَعْصِيَةِ وكانَ اهلُ الطائف
يَعْبُدون اللاتَ واَهلُ مكةَ العُزّى ومَناةَ وهُبَلَ واِسافًا
ونائِلَةَ وكانوا يقولون هولاء شفعاؤُنا عندالله وعن
النَّضْرِبْن الحارث اذا كان يومُ القيامةِ شَفَعَتْ لى اللاتُ
والعُزّى أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بما لا يعلم اَتُخْبِرُونَهُ بكَوْنِهم شُفَعاءَ
عنده وهو انباء بما ليس بمعلومٍ لله واذا لم يَكُنْ معلومًا له
وهو العالمُ الذاتِ المحيطُ بجميع المعلوماتِ لم يكن شيئًا لانّ
الشئَ ما يُعلَمُ ويُخبَرُ عنه فكان خبرًا ليس له مُخبَرٌ عنه فان قلت
كيف اَنبَؤُا اللهَ بذلك قلت هو تَهَكُّمٌ بهم وبما ادَّعَوْهُ من المحال
الذى هو شفاعةُ الاصنام واعلامٌ باَنّ الذى اَنبَأُوا به باطلٌ
غيرُ مُنْطَوٍ تحت الصحة فكأنّهم يُخبِرونَهُ بشئٍ لا يتعلّقُ به عِلْمُه كما
يُخبِرُ الرجلُ بما لا يَعلَمُه وقُرِئَ اَتُنْبِئُونَ بالتخفيف وقولُه
فى السموات ولا فى الارض تأكيدٌ لنفيِه لانّ ما لم يوجَد فيهما
فهو مُنتَفٍ معدومٌ يشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولةٌ
او مصدريّةٌ اى عن الشركاء الذين يُشركونهم به او عن اِشراكهم
وما كانَ الناسُ الا اُمّةً واحدةً حُنَفاءَ مُتَّفِقِين على
ملّةٍ واحدةٍ من غير ان يختلِفوا بينهم وذلك فى عهد آدم
الى اَنْ قتَل قابيلُ هابيلَ وقيل بعد الطوفان حين
لم يَذَرِ اللهُ من الكافرين ديّارًا ولولا كلمةٌ سبَقَتْ من ربّك
وهو

وهو تأخيرُ الحُكْم بينهم الى يوم القيامة لَقُضِيَ بينهم عاجلًا
فيما اختلفوا فيه ولَمُيِّزَ الحقُّ من المُبطِل وسَبْقُ كلمتِه
بالتأخير لحِكْمةٍ اَوجبَتْ اَنْ تكون هذه الدارُ دارَ تكليفٍ
وتلك دارَ ثوابٍ وعقابٍ ويقولون لولا اُنزِلَ عليه آيةٌ من
ربّه ارادوا آيةً من الآيات التى كانوا يقترحونها وكانوا
لا يعتدّون بما اُنزل عليه من الآيات العظامِ المتكاثرة
التى لم يُنزَلْ على احدٍ من الانبياء مثلُها وكفى بالقرآن
وحده آيةً باقيةً على وجه الدهر بديعةً غريبةً فى الآيات
دقيقةَ المَسْلَكِ من بين المعجزاتِ وجعلوا نزولَها
كلا نزولٍ وكأنّه لم تنزل عليه آيةٌ قطُّ حتى قالوا لولا
اُنزل عليه آيةٌ واحدةٌ من ربّه وذلك لفرطِ عنادهم
وتماديهم فى التمرّد وانهماكهم فى الغىّ فقل انما الغيبُ لله
اى هو المختصّ بعلم الغيبِ المستأثرُ به لا علمَ لى ولا لاحدٍ به
يعنى اَنّ الصّارِفَ عن انزال الآيات المقترحةِ اَمْرٌ مُغَيَّبٌ
لا يعلمه الا هو فانتظروا نزولَ ما اقترحتموه انّى معكم
من المنتظرين لما تفعلُ اللهُ بكم لعنادكم وجحودكم الآيات
سلّط اللهُ القحطَ سبعَ سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون
ثم رحمهم بالحيا فلمّا رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله
ويُعادون رسولَ الله ويكيدونه واذا الاولى للشرط والثانية

يعني تكذيبهم بآيات الله مكرا لان المكر عبارة عن ... بطريقة الحيلة وهم لا يحتالون لدفع آيات الله ... بما يقدرون عليه من
القا شبهة او تخليط او غير ذلك من الامور الفاسدة

جوابها وهي للمفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية
الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء
اثرها فيهم فان قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله
اسرع مكرا قلت بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه
قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجاوا وقوع المكر
منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء
ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر
عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في
اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما
تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ
يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء
كذا وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان الله ليصبح القوم
بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين
يقولون مطرنا بنوء كذا قرا زيد بن ثابت ينشركم ومثله
قوله فانتشروا في الارض ثم اذا انتم تنتشرون فان
قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر
والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل
الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية
الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت

هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجي الريح العاصف
وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء فان قلت
ما جواب اذا جاءتها قلت جاءتها والعامل فيه دعوا بدل
ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به
فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة
قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها
ويستدعي منهم الانكار والتقبيح فان قلت ما وجه قوله
ام الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت قيل
هما زائدتان كما في الخارجي والاحمري ويجوز ان يراد به اللج
والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين
للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي قراءة
ام الدرداء للفلك ايضا لان الفلكي يدل عليه جاءتها جاءتها
الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان
من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل احاطة العدو
بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك به
لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا على ارادة
القول او لان دعوا من جملة القول يبغون في الارض
يفسدون فيها ويعيثون مترقين في ذلك ممعنين فيه
فوكل يبغي الحرج لما ترامى الى الفساد فان قلت فما معنى قوله

بغير الحق والبغي لا يكون بحق **قلت** بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله ببني قريظة وقرئ متاع الحيوة بالنصب **فان قلت** ما الفرق بين القراءتين **قلت** اذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته لقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة للحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في اخيه يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاربع فخير فعال المرء اعدله فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله وعن

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا لقد اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتيها امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن زرعها كان لم يغن زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع ... والا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كان لم يغن بالياء على ان ... المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه قرأ على ... من قول الاعشى طويل الثوا طويل التغني

قوله ويهدي من يشاء
قال أصحابنا إن عند المعتزلة يجب على الله فعل الهداية لأنه أصلح للعبد ولو كان كذلك لما صح تعليقه بالمشيئة لأن ما كان واجبا لا يكون معلقا بالمشيئة

والأمن منه في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا دار السلام
الجنة أضافها إلى اسمه تعظيما لها وقيل السلامة لأن أهلها سالمون
من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم
إلا قيلا سلاما سلاما ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين علم أن
اللطف يجدي عليهم لأن مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو
العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون للحسنى المثوبة الحسنى
وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم
من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة
وعن ابن عباس رضي الله عنه الحسنى الحسنة والزيادة عشر أمثالها
وعن الحسن عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة
مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة أن تمر السحابة
بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيئا إلا أمطرتهم
وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله وجاءت بحديث
مرقوع إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف
الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب إليهم
منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا أثر
هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار إذكارا
بما ينقذهم منه برحمته ألا ترى إلى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة
فإن قلت ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة

وكيف يتلاءم قلت لا يخلو إما أن يكون والذين كسبوا معطوفا
على قوله للذين أحسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها وإما أن يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة
مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الأول لأن في الأول عطفا
على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه وفي هذا دليل على أن
المراد بالزيادة الفضل لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله
ودل ثم بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم بالياء
من الله من عاصم أي لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه أو ما
لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما
حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون جعل مظلما من قوله يقطع من الليل
جعله صفة له ويعضده قراءة أبي بن كعب كأنما يغشى وجوههم
قطع من الليل مظلم فإن قلت إذا جعلت مظلما حالا من الليل
فما العامل فيه قلت لا يخلو إما أن يكون أغشيت من قبل أن
من الليل صفة لقوله قطعا فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه
إلى الصفة وإما أن يكون معنى الفعل في من الليل مكانكم الزموا
مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وأنتم أكد به الضمير في مكانكم
لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم
على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل

فزيّلنا بينهم ففرّقنا بينهم وقطّعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم
في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم
منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا
ضلّوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خدّه وصعّره وكالمنه
وكلّمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين
حيث امروكم ان تتّخذوا لله انداداً فاطعتموهم ان كنا
هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي
العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك
مكان الشفاعة التي زعموها وعلّقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك
المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان
للزمان تبلوا كلّ نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف
كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود
كما يختبر الرجل الشيء ويتعرّفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم
تبلى السرائر وعن عاصم نبلوا كلّ نفس بالنون ونصب كل اي
نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها
ان كان حسناً فهي سعيدة وان كان سيئاً فهي شقية والمعنى
نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملاً ويجوز ان يراد
نصيب بالبلاء وهو العذاب كلّ نفس عاصية بسبب ما اسلفت

من الشر وقرئ تتلوا اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه
الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من
خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون
ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم
العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالفتح على تاكيد قوله ردوا
الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله
اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا
يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلفون من الكذب
وشفاعة الالهة من السماء والارض اي يرزقكم منهما جميعا
لم يقتصر برزقكم على جهة ليفيض عليكم نعمته ويوسع
رحمته من يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما
على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما
ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان
يؤذيهما ادنى شيء بكلائته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير
امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون افلا تتقون
الشرك ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال
فذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته
ثابتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق
والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون

عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء
كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اى كما حق وثبت ان الحق
بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة
ربك على الذين فسقوا اى تمردوا فى كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى
فيه وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اى حق عليهم انتفاء
الايمان وعلم الله منهم ذلك وحق عليهم كلمة الله انهم من اهل
الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب
وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون فان قلت
كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير
معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور
برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر
البين الذى لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم فى انكارهم لها
منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال
لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم
فى الجواب يعنى انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة
الحق فتكلم عنهم يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال
هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه
قوله امن لا يهدى وقرئ لا يهدى بفتح الهاء وكسرها مع تشديد
الدال والاصل يهتدى فادغمت وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت

لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ
الا ان يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى
ومعناه ان الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى المكلفين
من العقول واعطاهم من التمكين للنظر فى الادلة التى نصبها لهم
وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع
فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرفهم
كالملائكة والمسيح وعزير يهدى الى الحق مثل هداية الله ثم قال
أفمن يهدى الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذى لا يهدى
اى لا يهتدى بنفسه او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وقيل
معناه امن لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه
الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء
الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا
فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم
انداد لله وما يتبع اكثرهم فى اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير
مستند الى برهان عندهم ان الظن فى معرفة الله لا يغنى
من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم فى قولهم للاصنام
انها الهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع
ان الله عليم وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الاباء
وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القران افترى من دون الله

ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة
لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها لقوله هو الحق
مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل
الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى
وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره
واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام
والشرائع من قوله كتاب الله عليكم **فان قلت** بم اتصل قوله
لا ريب فيه من رب العالمين **قلت** هو داخل في حيز الاستدراك
كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب
كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب
العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين
متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول
زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه على
الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان
متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء
بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله
اى شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على
الاضافة اى بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم
من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو

القاد

القادر على ان ياتى بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوه
وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه
افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجاوه
في بديهة السماع قبل ان يفهموه ويعلموا كنه امره وقبل ان
يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما
يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ
على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه
وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة
انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها
بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه
الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب **فان قلت**
ما معنى التوقع في قوله ولما ياتهم تاويله **قلت** معناه انهم
كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للآباء
وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب
قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو
شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة
واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك مثل ذلك
التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء
وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا

سوء الذين كذبوا وهم شاكون وكوزان يكون معنى ولما ياتهم تاويله
ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اى عاقبته
حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعنى انه كتاب معجز من جهتين
من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب
فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا فى نظمه وبلوغه حد
الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه
ومنهم من يؤمن به يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكنه
يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال
اى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست
من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله فان عصوك
فقل انى برئ وقيل هى منسوخة باية السيف ومنهم من
يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت
القران وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس
ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم
لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم
الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل
اذا وقع فى صماخه دوى الصوت واذا اجتمع سلب السمع والعقل
جميعا فقد تم الامر واتحسب انك تقدر على هداية العمى ولو انضم

الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد
يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعنى انهم فى
اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول
لهم ولا بصائر وقوله افانت افانت دلالة على انه لا يقدر على
اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر
على رد الاصم والاعمى المسلوبى العقل حديدى السمع والبصر راجحى
العقل الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا اى لا ينقصهم شيئا
مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم
يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا
للمكذبين يعنى ان ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق
بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم
ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه الا ساعة من النهار
يستقربون وقت لبثهم فى الدنيا وقيل فى القبور لهول ما يرون
يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا
وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر
عليهم **فان قلت** كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما
قلت اما الاولى فحال منهم اى نحشرهم مشبهين بمن لم
يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان تتعلق بالظرف واما ان
تكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف

لا يبقى مع طول العهد ويتقلب بنا كرا قد خسر على ارادة القول اى يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هى شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا فى تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه فى الآخرة فان قلت الله شهيد على ما يفعلون فى الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرا ابن ابى عبلة ثم بالفتح اى هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضى بينهم اى بين النبى ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجى الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان لقوله وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا املك لنفسى ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله

استثناء

استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب لكل امة اجل يعنى ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان فاذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرا ابن سيرين فاذا جاء آجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت هلا قيل ليلا او نهارا قلت لانه اريد ان اتيكم عذابه وقت بيات فيبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه فى وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير فى منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاى شى تستعجلون منه وليس شى منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اى شى هول شديد تستعجلون منه ويجب ان تكون من للبيان فى هذا الوجه وقيل الضمير فى منه لله تعالى فان قلت بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق بارايتم لان المعنى اخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطا فيه فان قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه

وتهلك فزعا من مجيئه وان ابطا فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون

ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك إن اتيتك ماذا

تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم وان يكون اثم اذا ما وقع آمنتم به

جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى إن اتيكم

عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف

الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افامن اهل القرى

اوامن اهل القرى آلآن على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد

وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم

به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ

آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام ثم قيل

للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلآن ويستنبئونك ويستخبرونك

فيقولون احق هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرئ

الآن احق هو وهو ادخل في الاستهزاء المتضمنة معنى التعريض

بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل

او اهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود واي بمعنى نعم في

القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم

يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده

وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ظلمت

صفة لنفس على ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض اى ما في الدنيا

اليوم

اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به

لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه

واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم

يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم

فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار

الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه

من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا

مبهوتا وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم

حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان

اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم

بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة

اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وليس هنالك تجلد

وقضي بينهم اى بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم

ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب المعاقب وما وعده

من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة

لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر

كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون قد جاءتكم موعظة

اى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه

على التوحيد وشفاء اى دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة

ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن به منكم أصل الكلام بفضل الله
وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب
اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا
فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط
كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به
أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك
فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته
فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء هو الأصل والقياس
وهو قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه لتأخذوا مصافكم
فيها في بعض الغزوات وفي قراءة أبي فافرحوا هو راجع إلى ذلك
وقرئ مما يجمعون بالياء والتاء وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال
بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد
عليه أرأيتم أخبروني ما أنزل الله ما في موضع النصب بأنزل
أو بأرأيتم في معنى أخبرونيه فجعلتم منه حرامًا وحلالًا أي أنزله
الله رزقًا حلالًا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم
هذه أنعام وحرث حجر ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا
ومحرم على أزواجنا آلله أذن لكم متعلق بأرأيتم وقل مكرر
للتوكيد والمعنى أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون

ذلك

ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه ويجوز أن تكون
الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرًا للافتراء وكفى بهذه
الآية زاجرة زجرًا بليغًا عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام وباعثة
على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد
إيقان وإتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو مفتر على الله
يوم القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني أي شيء ظن المفترين
هو ظن واقع في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة
وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ
الفعل ومعناه وأي ظن ظنوا يوم القيامة وجيء به على لفظ الماضي
لأنه كائن فكأن قد كان إن الله لذو فضل على الناس حيث أنعم عليهم
بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه
النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه وما تكون في شأن ما نافية والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشأن الأمر وأصله الهمزة بمعنى القصد من
شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في منه للشأن لأن تلاوة القرآن شأن
من شأن رسول الله عليه السلام بل هو معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وما تتلو
من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له
أو لله عز وجل وما تعملون أنتم جميعًا من عمل أي عمل كان إلا كنا
عليكم شهودًا شاهدين رقباء يخفى عليكم إذ تفيضون فيه من أفاض في
الأمر إذا اندفع فيه وما يعزب قرئ بالضم والكسر وهما يبعد وما يغيب وعنه

الروض العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القرآة بالنصب والرفع والوجه
النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على
محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع
الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل **فان قلت**
لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب
عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض **قلت** حق السماء
ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم
واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لائم ذلك ان قدم الارض على السماء
على ان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم
اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن
جبير رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء
الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن
عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله
وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله
عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة
لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا
نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها
فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس

ولا يحز

ولا يحزنون لفا حزن الناس ثم قرا الآية الذين آمنوا نصب او رفع على المدح
او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا
ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى
الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام
ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر
الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس
فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم
الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين
مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء
الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل
لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول
لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض
ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبير
هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك ان العزة لله جميعا
اي ان الغلبة والقهر في مملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم
فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرأ
ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله
بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكره من القراءة به هو السميع
العليم

استيناف في التعليل كانه قيل ما لي لا احزن قيل ان العزة

يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعرضون عليه وهو مكافيهم بذلك
من في السموات والارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان
وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي مملكته فهم عبيد كلهم وهو
سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا
له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل
على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك
فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبع
شركاء الى وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء
لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا ظنهم انها شركاء وان هم الا
يخرصون يحزرون ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان
يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون وشركاء على هذا
نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان تكون ما موصولة
معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله
شركاء اي وله شركاؤهم وقرا علي بن ابي طالب رضوان الله عليه تدعون بالتاء
ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين تدعونهم
شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم
لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن

ولا يتبعون

ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته
ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة بانه جعل لهم
الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش
والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون
سماع معتبر مذكر سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم
الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه
له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه
منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن
اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة
بهذا القول والباء حقها ان يتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول
مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم
فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان
جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك
جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع
في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حين يقيمون
رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه بالتظاهر به ثم يلقون
الشقاء المؤبد بعده كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله
وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني
يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه

ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه يعني خاف ربه او قيامي ومكثي
بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما ومقامي وتذكيري
لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم
بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ
الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه
اذا نواه وعزم عليه قال يا ليت شعري والمنى لا تنفع هل اغدون
يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرأ
الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل
لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا
من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة
ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم **فان قلت** كيف جاز اسناد الاجماع الى
الشركاء **قلت** على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون **فان قلت**
ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة
قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون
من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك
اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم
لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد
مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة
عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم

غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد
به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله
عليه السلام ولا غمة في فرائض الله عز وجل اي لا تستر ولكن يجاهر
بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا
تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه
وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم
عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ
ثم افضوا الي بالفاء بمعنى انتهوا الي بشركم وقيل معناه من افضى الرجل
اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم
عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني
وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري
الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم
الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون
من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون
به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به
والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم
لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب
ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا
على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها

وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون
الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير
لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له من بعده من بعد نوح
رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم بالبينات
بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا
كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد
انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع
فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد
كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار
مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف
اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات
التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد
برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين
كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤوا على ردها
فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله
لا من قبل موسى وهارون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين
وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا
فان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف
قيل لهم اتقولون اسحر هذا **قلت** فيه اوجه ان يكون معنى قوله

اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له
وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم
لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر
هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول
اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون
ما تقولون يعني قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان تكون
جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا
اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة
ما جئتم به السحر ان الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان
ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة
الاصنام وتكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك
قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات
مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي
ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا
ارض مصر تكبرا وتجبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون
جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما به
وقرئ يكون لكما الكبرياء بالياء ما جئتم به السحر ما موصولة واقعة
مبتدأ والسحر خبره اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون
وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة

ما استفهامية اي اي شيء جئتم به امنوا السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرئ أما جئتم به سحر والمعنى لما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيته فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته على خوف من فرعون وملائهم الضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم يعذبهم وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملا كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية

ما استفهامية اي اي شيء جئتم به امنوا السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر

وقرئ آلسحر على الاستفهام فما موصولة مبتدأ والسحر خبره وقرئ اتى ما اتيتم به سحر والمعنى لا ما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه

او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين

لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته

بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيته فما آمن لموسى

في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل

كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه

خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل

الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه

وامرأة خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملائهم

قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب

يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من

اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم

وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون

لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد

وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته

فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط

في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا انفسهم لله اي يجعلوها له

سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط

قوله فعليه توكلوا جزاء معلق بشرطين احدهما متقدم والآخر متأخر والفقهاء قالوا المتأخر
متقدم والمتقدم متأخر ومثاله ان يقول الرجل لامرأته ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا
وانما كان كذلك لان مجموع قوله ان دخلت الدار فانت طالق صار مشروطا بقوله ان كلمت زيدا
والمشروط متأخر عن الشرط فيصير كانه يقول لامرأته حال ما كلمت زيدا
ان دخلت الدار فانت طالق فلو وجد الدخول قبل [illegible]
يقع الطلاق [illegible] شرطا لان يصير [illegible]

ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على

الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله

سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه

وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض

اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة

لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا

ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا تبوءا المكان اتخذه مباءة

كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته

مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا

بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى

ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر مأمورين بان

يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم

ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة

فان قلت كيف نوع الخطاب ثنى اولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت

خوطب موسى وهارون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتا ويختارها

للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما

ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور

ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيما

لها وللمبشر بها الزينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث

او غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لهم من فسطاط
مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد
وياقوت فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت
هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم
آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ
زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة
ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض
الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق
له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي
والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم
ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته
لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس
واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم
يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين
ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال
وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما على منهم هم
احق بذلك واحق كما يقوله الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل
منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحرضا عليه لا ان يريد
خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق
منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد
او دعاء بلفظ النهي وقد جعلت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم
جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله
فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد
على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرا
الفضل الرقاشي اإنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قرئ
دعوتكما قيل كان موسى يدعو وهارون يؤمن ويجوز ان
يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما
كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة
والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا
ولا تتبعان قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة
الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة
وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين
وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين
تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وجوزنا قرأ الحسن وجوزنا
من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت
الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان
يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق

فاتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرأ الحسن وعدوا وقرئ
انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة وانه بالكسر على الاستيناف
بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلث مرات في ثلث عبارات
حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين
لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار
وعند بقاء التكليف آلآن أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار
حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه
الغرق يعني حين لم يسك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق في
نفسه والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل من حال البحر
فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه
لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله
فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احديهما
ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه
والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر
لان الرضا بالكفر كفر من المفسدين من الضالين المضلين عن
الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي ان جبريل اتاه بفتيا
ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه
وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن

مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر بنعماه ان يغرق
في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه ننجيك
بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك بالحاء نلقيك بناحية
مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه
الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح
فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير
او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب
اعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد وكانت له درع من
ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة رحمه الله بابدانك وهو على وجهين
اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه
او يريد بدروع كانه كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية لمن وراءك
من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم
شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا
وقيل لغيرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه
الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه كان على ممر من بني اسرائيل
حتى قيل لمن خلفك وقرئ لمن خلقك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى
كونه آية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه
من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان
وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره

اولتكون عبرة يعتبر بها الامم بعدك فلا يجترؤا على نحو ما اجترأت عليه
اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله وقرئ لمن خلفك بالقاف اى وليكون
لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل
وحدك وتمييزك من المغرقين لئلا تشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا
لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله
التى لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة فى امرك
مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا فى دينهم
وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرؤا التورية وكسبوا العلم بدين
الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه
تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بنى اسرائيل
وهم اهل الكتاب اختلافهم فى صفته ونعته وانه هو ام ليس به بعد
ما جاءهم العلم والبيان انه هو كما نعتوه كما قال الله تعالى الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم **فان قلت** كيف قال
لرسول الله صلى الله عليه فان كنت فى شك مما انزلنا اليك مع قوله فى الكفرة
وانهم لفى شك منه مريب **قلت** فرق عظيم بين قوله وانهم لفى شك منه
مريب باثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت
فى شك بمعنى الفرض والتمثيل كأنه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك
الشيطان خيالا منه تقديرا فسل الذين يقرؤن الكتاب والمعنى ان الله
عز وجل قدم ذكر بنى اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم

لان امر رسول الله مكتوب عندهم فى التورية والانجيل وهم يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد
عليه السلام ويبالغ فى ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل
من خالجته شبهة فى الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما
بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين
على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعنى انهم من الاحاطة بصحة ما
انزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا
عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما انزل
الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق
من ربك اى ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك
هو الحق الذى لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات الله فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء
المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج
والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات
الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال
عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق وعن ابن
عباس رضى الله عنه لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل
خوطب رسول الله والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم فى شك
مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن

ويهلك فزعًا من مجيئه وإن أبطأ فضلًا أن يستعجله ويجوز أن يكون
ماذا يستعجل منه المجرمون جوابًا للشرط كقولك إن أتيتك ماذا
تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون أثم إذا ما وقع آمنتم به
جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضًا والمعنى إن أتاكم
عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف
الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله أفأمن أهل القرى
أوأمن أهل القرى آلآن على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد
وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم
به تكذبون لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار وقرئ
آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام ثم قيل
للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلآن ويستنبئونك ويستخبرونك
فيقولون أحق هو وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء وقرأ
الأعمش آلحق هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض
بأنه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل
أو أهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود إي بمعنى نعم في
القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم
يقولون في التصديق إيو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده
وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ظلمت
صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة ما في الأرض أي ما في الدنيا

اليوم

اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به
لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضًا بمعنى فداه
وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم
يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم
فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخًا ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار
الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه
من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدًا
مبهوتًا وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم
حياء منهم وخوفًا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن
إخفاءها إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم
بهم وبإخطائهم وقت إخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة
أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره وليس هناك تجلد
وقضي بينهم أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم
ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وما وعده
من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الإحياء والإماتة
لا يقدر عليهما غيره وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الأمر
كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون قد جاءتكم موعظة
أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه
على التوحيد وشفاء أي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة

قرأ عاصم وحمزة ولا يظهروا بكسر اللام لالتقاء الساكنين والباقون بالضم نقلوا

الرجز بالزاء وقرئ ونجعل بالنون ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر

وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون

لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني باليا وما نافية او استفهامية

ايام الذين خلوا من قبلهم وقايع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقايعها ثم ننجي رسلنا

معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم

كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن

آمن معهم لذلك ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجا ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين

وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك حقا علينا وقرئ ننجي بالتشديد يا ايها الناس

يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه

واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل

فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم

ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف

ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله

امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم

في شك من ديني ومما انا عليه اأثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم

بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين

تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون

لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا

الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع أن

وأنّ وأن تكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر

وان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلوا

من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر

فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان

عطفها على الموصولة يابى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد

عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق

والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه

ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون

معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال

اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين

او من الوجه فان تعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك

ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء

للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان

وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم

اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز

وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده

دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان اراد بخير لم يرد

احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن

بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن

كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته **فإن قلت**
لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني **قلت** كانه اراد ان يذكر الامرين
جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما
ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في
احدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله
يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة قد جاءكم الحق
فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره
الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر
وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح
الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد
انما انا بشير ونذير واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم حتى يحكم الله لك بالنصرة
عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار
فقال انكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه
الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء
الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رضي الله عنه تخلف عن
تلقي معوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك
لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في
طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي أثرة قال معوية فماذا قال فاصبروا حتى

تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان الا ابلغ معوية
بن حرب أمير الظالمين نثا كلامي بأنا صابرون فمنظروكم الى يوم التغابن
والخصام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطي من
الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أحكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء
المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار
حكيما اي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد
من قولهم أحكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال
جرير أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم اني أخاف عليكم أن أغضبا وعن قتادة
أحكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد
والأحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية
او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد
اي بين ولخص وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت اي أحكمتها أنا ثم فصلتها
وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل **فإن قلت**
ما معنى ثم **قلت** ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول

هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم
كريم الفعل وكتاب خبر مبتدا محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير
صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت
اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم
وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور ان لا تعبدوا مفعول له
على معنى لان لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول
كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا
اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما
قبله على لسان النبي صلى الله عليه اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة
ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة الله انني
لكم منه نذير كقوله فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل اي انني
لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن
عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم **فان قلت** ما معنى ثم في
قوله ثم توبوا اليه **قلت** معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا
اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة
واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع
حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى
ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط
في الاخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه

او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات
وان تولوا وان تتولوا عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف
بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على
كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ فان تولوا
من ولي يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من
اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى
عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله
والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار
في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين
يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام
جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون
يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون
من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم
غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول
الله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله
مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين
وقرئ تثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو
بناء مبالغة قرئ بالياء والتاء وعن ابن عباس رضي الله عنه لتثنوني وقرئ
تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلاء

يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم
ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنأن افعالّ منه ثم همز كما قيل ابيأضّت
وادهأمّت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال
على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل
الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر
مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار
من صلب او رحم او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها و
مستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء اي ما
كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا
الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض
وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيفما كان فالله ممسك
كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه
ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده
وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر
واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال
ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون **فان قلت**
كيف جاز تعليق فعل البلوى **قلت** لما في الاختبار من معنى العلم
لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع
ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم **فان قلت**

كيف قيل احسن عملا واعمال المؤمنين والكافرين تتفاوت الى الحسن والقبح
قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل
ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها
على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم
الله واسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه
ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما وانك تشتري بمعنى علك
اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا
القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين يعني بتوا القول ببطلانه ويجوز
ان يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل
وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن
هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من
البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب
مبطل العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس
رضي الله عنه قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات
ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء
ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس
على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على
جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل

وأحاط بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وإنما
وضع يستهزءون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء
والمعنى ويحيق بهم إلا أنه جاء على عادة الله في إخباره الإنسان للجنس رحمة
نعمة من صحة وأمن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة إنه ليئوس
شديد اليأس من أن تعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من
سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم
الكفران لما سلف له التقلب في نعمة الله نساء له ذهب السيئات عني أي
المصائب التي ساءتني إنه لفرح أشر بطر فخور على الناس بما أذاقه الله من
نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر إلا الذين آمنوا فإن عادتهم إن نالتهم
رحمة أن يشكروا وإن زالت عنهم نعمة أن يصبروا كانوا يقترحون عليه
آيات تعنتا لا استرشادا لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما
جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه
ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات
فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه
ويضحكون منه فحركه الله وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم
واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك أي لعلك تترك أن تلقيه وتبليغه
إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بأن تتلوه عليهم أن يقولوا
مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أي هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من
الكنز والملائكة ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال إنما أنت نذير

أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا
عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون
وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك إليه وعليك
بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا
مبال بسفههم واستهزائهم فإن قلت لم عدل عن ضيق إلى ضائق
قلت ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأن رسول الله كان
أفسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود
الثابتين المستقرين فإذا أردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه قوله
كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي: بمنزلة أما
اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها أم منقطعة والضمير في افتراه
لما يوحى إليك تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط
لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فإذا تبين له العجز عن مثل خطه
قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى أمثاله ذهابا إلى مماثلة
كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن
واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله فأوقفهم على دعواهم وأرخى
معهم العنان وقال هبوا أني اختلقته من عند نفسي ولم يوح إلي وأن
الأمر كما قلتم فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب
فصحاء لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام فإن قلت
كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت

معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى **فان قلت**
ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل **قلت**
معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله عليه السلام والمؤمنين
كانوا يتحدّونهم وقد قال في موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان
يكون الجمع لتعظيم رسول الله كقوله فان شئت حرّمت النساء سواكم وقد وجه
لغرض وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في يستجيبوا لمن استطعتم يعني
فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته
لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل
بعلم الله اى انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب
لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب
والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة
القاطعة وهذا وجه حسن مطّرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه
فاثبتوا على العلم الذى انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل
من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون
نوفّ اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا
وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقرّاء
منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدّق
فعلت حتى يقال فقيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل
وعن انس بن مالك رضي الله عنه هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او

وصلوا

وصلوا رحما عجّل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل
هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوفّ
بالياء على ان الفعل لله عز وجل ونوفّ اليهم اعمالهم بالنون على البناء للمفعول
وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول
لا غائب مالي ولا حرم وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم
يعني لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة وانما ارادوا به الدنيا وقد وفّي
اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اى كان عملهم في نفسه باطلا لانه
لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم
وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وتنتصب بيعملون ومعناه
وباطلا اى باطل كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما
كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان
على بينة اى لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا
بعيدا وتباينا بيّنا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره
كان على بينة من ربه اى على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق
وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اى شاهد يشهد
بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا
ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اى ويتلو ذلك البرهان
ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على
بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد

منه شاهد ممن كان على بينة لقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قل
كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلوه
من قبل القرآن التورية اماما كتابا موتما به فى الدين قدوة فيه ورحمة
ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعنى من كان على بينة يومنون به يومنون
بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعنى اهل مكة ومن ضامّهم من المتحزبين
على رسول الله فالنار موعده فلا تك فى مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك منه
من القرآن او من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون فى الموقف وتعرض اعمالهم
وتشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ
ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فوا خزياه ووا فضيحتاه والاشهاد
جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج
وهى مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد
كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض اى ما كانوا
يعجزون الله فى الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من اولياء
فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم
الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعّف
ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامّهم عن استماع الحق وكراهتهم
له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع
به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون فى كل لسان هذا كلام
لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعى ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم

من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشىء فما كان
لهم فى الحقيقة من اولياء ثم بين نفى كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم
العذاب اعتراض بوعيد خسروا انفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة
الله فكان خسرانهم فى تجارتهم مالا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا
انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون
من الآلهة وشفاعتها لا جرم فيه ثلاثة مكان لا جرم هم الاخسرون لا ترى
احدا ابين خسرانا منهم واخبتوا الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى
عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الارض المطمئنة ومنه
قولهم للشىء الدنى الخبيث قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع
الكثير الخبيث وقيل التاء فيه بدل من الثاء شبه فريق الكافرين بالاعمى
والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق
وفيه معنيان ان تشبه الفريقين تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ
القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذى جمع بين العمى
والصمم او الذى جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو فى والاصم وفى والسميع
لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان
يعنى الفريقين مثلا تشبيها انى ارسلنا نوحا بانى لكم نذير ومعناه ارسلناه
ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله انى لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل
به الجار فتح كما فتح فى كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد

وقرئ بالكسر على ارادة القول أن لا تعبدوا بدل من انى لكم نذير اى ارسلناه
بان لا تعبدوا او ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير ووصف اليوم باليم من الاسناد
المجازى لوقوع الالم فيه **فان قلت** فاذا وصف به العذاب **قلت**
مجازى مثله لان الاليم فى الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد
جده الملأ الاشراف من قولهم فلان ملئ بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤوا
بالامر لانهم ملؤوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالؤن
اى يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس ابهة
او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض
بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها فى احد من البشر لجعلها
فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازيهم فى المنزلة فما جعلك احق منهم
الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغى ان يكون
ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرئ
بادئ الراى بالهمزة وغير الهمزة بمعنى اتبعوك اول الراى او ظاهر الراى وانتصابه
على الظرف اصله وقت حدوث اول رايهم او وقت حدوث ظاهر رايهم
فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شئ
عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم
فى الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة
الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام
يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم

فى الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان
يجعله سببا فى الاختيار للنبوة والتأهيل لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين
فى طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن
من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف
بما هو ضعة عند الله من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل
نظنكم كاذبين فيما تدعونه ارأيتم اخبرونى ان كنت على بينة على برهان
من ربى وشاهد منه يشهد بصحة دعواى واتانى رحمة من عنده بايتاء
البينة على ان البينة فى نفسها هى الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة
وبالرحمة النبوة **فان قلت** فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه
على الوجه الثانى وحقه ان يقال فعميتا **قلت** الوجه ان يقدر فعميت
بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت
وقرئ فعميت بمعنى اخفيت وفى قراءة ابى فعماها عليكم **فان قلت**
فما حقيقته **قلت** حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت
عمياء لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم
كما لو عمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد **فان قلت**
فما معنى قراءة ابى **قلت** المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله
وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله أنلزمكموها
وانتم لها كارهون يعنى أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم
تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه فى الدين وقد جئ بضميرى المفعولين

متصلين جميعاً ويجوز أن يكون الثاني منفصلاً كقولك أنلزمكم اياها ونحوه
فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن أبي عمرو إسكان
الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكوناً
والإسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لأن الحركة
الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر والضمير في قوله لا أسألكم
عليه راجع إلى قوله إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله وقرئ وما
أنا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الأصل فإن قلت ما معنى قوله
إنهم ملاقوا ربهم قلت معناه أنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم
أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما
أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء إيمانهم على
بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر
ذلك منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الآية أو هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا
محالة تجهلون تتسفهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل من قوله ألا
لا يجهلن أحد علينا أو تجهلون لقاء ربكم أو تجهلون أنهم خير منكم من ينصرني
من الله من يمنعني من انتقامه إن طردتهم وكانوا يسألونه أن يطردهم
ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء أعلم الغيب معطوف على
عندي خزائن الله أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ومعناه
لا أقول لكم عندي خزائن الله فأدعي فضلاً عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي

بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني إلى
الكذب والافتراء أو حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم
ولا أقول إني ملك حتى تقولوا لي ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أحكم على من استرذلتم
من المؤمنين لفقرهم أن الله لن يؤتيهم خيراً في الدنيا والآخرة لهوانهم
عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولاً على هواكم إني إذاً لمن الظالمين
إن قلت شيئاً من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه
وأزرى به قصّر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فأكثرت
معناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك جاد فلان فأكثر
وأطاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل إنما يأتيكم به الله أي ليس
الإتيان بالعذاب إلي إنما هو إلى من كفرتم به وعصيتموه إن شاء إن
اقتضت حكمته أن يعجله لكم وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فأكثرت
جدلنا فإن قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت
قوله إن كان الله يريد أن يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم
نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط
في قولك إن أحسنت إلي أحسنت إليك إن أمكنني فإن قلت
فما معنى قوله إن كان الله يريد أن يغويكم قلت إذا عرف الله
الكافر الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك إغواء وإضلالاً كما
أنه إذا عرف منه أنه يتوب ويرعوي فلطف به سمي إرشاداً وهداية
وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم فهلك

ومعناه أنكم إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف ينفعكم نصحي فعليّ إجرامي وأجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم إسرارهم وأسرارهم ونحو جرم وأجرام قفل وأقفال وينصر الجمع أن فسره الأولون بآثامي والمعنى إن صح وثبت أني افتريته فعليّ عقوبة إجرامي أي افترائي وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني وتتألبوا عليّ وأنا بريء يعني ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى مما تجرمون من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم لن يؤمن إقناط من إيمانهم وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع إلا من قد آمن إلا من وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين وأنشد ما يقسم الله أقبل غير مبتئس منه وأقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم بأعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلأه أن يزيغ في صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه ووحينا وأنا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك إنهم مغرقون إنهم محكوم عليهم

بالإغراق قد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه كقوله يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه من عمله السفينة وكان يعملها في برية بهماء في أبعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فإنا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة أي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل إن تستجهلونا فيما نصنع فإنا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا أو إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم في استجهالكم لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل إن الحواريين

سفينة نوح عليه السلام

قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا
عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك
التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله اعلم ورسوله قال هذا كعب بن
حام قال فضرب الكثيب بعصاه قال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض
التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا
ولكني مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن
سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة
ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس
وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا من تأتيه
في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه
ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه
حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب
الآخرة حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء
فان قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي
وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت
حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع
كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه
فان قلت فما جواب كلما قلت انت بين امرين اما
ان تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل او تجعل سخروا

بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك
ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله
من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك
الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك
قال الضحاك ابنه وامرأته الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن
محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا
اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم
فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء يجوز ان يكون كلاما
واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو
بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت
ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء
والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم
الحاج ويجوز ان يراد مكان الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله
من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله
مجراها ومرساها جملة من مبتدا وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها
وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت
واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم
السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره

وقرئ مجريها ومرسيها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او وقتين او
مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل
صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت
معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجريها ومرسيها
بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون
في موضع الحال كقوله وجاءونا بهم سكر علينا فلا تكون كلاما برأسه ولكن
فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك
كأنه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها
خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما
نجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف
دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي
تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه
كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج
ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق
ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة
فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقيل
ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه سآوي الى جبل يعصمني
من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرأ علي رضي الله
عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير رضي الله عنهم

ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب
الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان
الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب
لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من اهل الكتاب
واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان
احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله وان يكون
لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرأ
السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه والمعزل
مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل
فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل
عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح
اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا
او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة
الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان
الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان
لهم عفوا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل
الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل
ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني
السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله

كقولك ماءٌ دافقٌ وعيشةٌ راضيةٌ وقيل الّا من رحم استثناءٌ منقطع
كأنه قيل ولكنّ من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علمٍ الا اتباع
الظن وقرئ الا من رُحم على البناء للمفعول نداء الارض والسماء بما ينادى
به الحيوان المميّز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين
سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل
التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم
وانّ السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه
فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته
وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبيّنوا تحتّم طاعته
عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال
له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان
المأمور به مفعولاً لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع
الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمّى وغيض الماء من غاضه اذا
نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحاً من هلاك قومه واستوت
واستقرّت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعداً يقال
بَعُدَ بُعداً وبَعَداً اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك
اختُصّ بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على
الجلال والكبرياء وانّ تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعلٍ قادر
وتكوين مكوّن قاهر وانّ فاعلها فاعلٌ واحدٌ لا يشارك في افعاله فلا

يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي
ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر
عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء
البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله
ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه
بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت
بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة
يوم واستقرت بهم على الجودي شهراً وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها
مرّت بالبيت فطافت به سبعاً وقد اعتقه الله من الغرق وروي
ان نوحاً عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكراً
لله تعالى نداؤه ربّه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء
وعده في تنجية اهله **فان قلت** فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف
عطف قال رب على نادى بالفاء **قلت** اريد بالنداء ارادة النداء
ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب
بغير فاء انّ ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه
او كان ربيباً له فهو بعض اهله وانّ وعدك الحق وانّ كل وعد تعده
فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان
تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام
واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل وربّ غريق

في الجهل والجور من مقلدي الحكومة في زمانك قد لُقِّب أقضى القضاة
ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز أن يكون من الحكمة
على أن يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع
وحائض وطالق على مذهب الخليل إنه عمل غير صالح تعليل لانتفاء
كونه من أهله وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب
وأن نسيبك في دينك ومعتقدك من الأباعد في المنصب وإن كان
حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وإن كان
أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح
مبالغة في ذمه كقولها فإنما هي إدبار وإقبال وقيل الضمير
لنداء نوح عليه السلام أي إن نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك
فإن قلت فهلا قيل إنه عمل فاسد قلت لما نفاه
عن أهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن
بذلك أنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهلك وأقاربك
وأن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك كقوله كانتا تحت
عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله
شيئا وقرئ عمل غير صالح أي عملا غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون
بغير ياء الإضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس
مني ملتمسا أو التماسا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على
كنهه وذكر المسألة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه

لم يسم نداءه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى
السؤال وإن لم يصرح به لأنه إذا ذكر الموعد بنجاة أهله في وقت مشارفة
ولده الغرق فقد استنجزه وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا
وغباوة ووعظه أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين
فإن قلت قد وعده أن ينجي أهله وما كان عنده أن ابنه ليس
منهم دينا فلما أشفى على الغرق تشابه عليه الأمر لأن العدة قد
سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف
الميعاد فطلب إماطة الشبهة وطلب إماطة الشبهة واجب فلم
زجر وسمي سؤاله جهلا قلت إن الله عز وعلا قدم له الوعد
بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن
يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح
وأن كلهم ليسوا بناجين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف
ولده الغرق في أنه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على أن
اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه أن أسألك من أن أطلب منك في
المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك وإلا
تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي أكن من الخاسرين أعمالا
وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا
أو مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات
الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك وعلى أمم ممن معك يحتمل

ان تكون من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم
كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء
الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله
وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم
وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات
عليك وعلى امم مؤمنين ينشأون ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا
منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان
منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك
السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب
كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا
منهم من رحم ومن عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح
ولوط وشعيب تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء
والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك
مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخباري لك
بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر
على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن
كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة
للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور
علمهم اذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقـ

لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلدي اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف
على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل
الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون
على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء ما من رسول الا واجه
قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها
الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجح ولم تنفع افلا تعقلون
اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب
الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك قيل استغفروا ربكم
آمنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد
الايمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى
الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا
اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص
فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة
والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين
في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح
وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسائهم
وعن حسن بن علي رضي الله عنه انه وفد على معاوية فلما خرج
تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا
لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار

حتى ربما استغفر في يوم وليلة سبع مائة مرة فولد له عشرة بنين
فبلغ ذلك معوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة
اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة
الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا او لا تعرضوا
عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على
اجرامكم واثامكم ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه
مع فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كانه
قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين
وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما تدعوهم اليه اقناطا
له من الاجابة اعتريك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول
الا قولنا اعتريك بعض آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك
اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك
بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان
المبرسمين وليس بعجب من اوليك ان يسموا التوبة والاستغفار
خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من
قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التايب عن ذنوبه
مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على غير ما كانوا
عليه في ايام جاهليته من الموالاة وما ذاك الا لعرق من الالحاد ابى

الا ان ينبض وضب من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت
اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون
بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير
دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر
وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من
اعظم الآيات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى
اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه
منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه
ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما
جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة
العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه
كونوا شهداء على اني لا افعله فان قلت هلا قيل اني اشهد الله
واشهدكم قلت لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد
صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم
فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل
به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر
بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد
علي اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون
من دونه من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركونه من

آلهة من دونه اى انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء
ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم اعجل ما تفعلون
من غير انظار فانى لا ابالى بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان
تعاونتم علىّ وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرنى آلهتكم وما هى
الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف تنتقم منى اذا نلت منها وصددت عن
عبادتها بان تخبلنى وتذهب بعقلى ولما ذكر توكله على الله
وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل
عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة
فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل
لذلك ان ربى على صراط مستقيم تريد انه على طريق الحق والعدل
فى ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فان
تتولوا **فان قلت** الابلاغ كان قبل التولى فكيف وقع جزاء
للشرط **قلت** معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط فى الابلاغ
وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب
الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف تريد ويهلككم
الله ويجئ بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم واموالكم ولا تضرونه
بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما
تضرون انفسكم وفى قراءة عبد الله رضى الله عنه ويستخلف بالجزم
وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا

يعذبنى ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم على كل شىء حفيظ
اى رقيب عليهم مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم
او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة
الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين آمنوا معه
قيل كانوا اربعة الاف **فان قلت** ما معنى تكرير التنجية
قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم
من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ
وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم وكانت تدخل فى
انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد
بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه
واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذى انعمنا
عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه
قال سيحوا فى الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف
احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا
رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله صلوات الله عليهم لا نفرق
بين احد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود واتبعوا امر كل جبار
عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى
اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت
اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم على وجوههم فى عذاب الله والا وتكرارها

مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وتفظيع له وبعث على
الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم **فإن قلت** بعدًا دعاء بالهلاك
فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم **قلت** معناه الدلالة على أنهم
كانوا مستأهلين له ألا ترى إلى قوله إخوتي لا تبعدوا أبدًا وبلى والله قد
بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد **فإن قلت** ما الفائدة في هذا
البيان والبيان حاصل بدونه **قلت** الفائدة فيه أن يوسموا
هذه الدعوة وسمًا وتجعل فيهم أمرًا محققًا لا شبهة فيه بوجه من
الوجوه ولأن عادًا عادان الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة
فيهم والأخرى إرم هو أنشأكم من الأرض لم ينشئكم منها إلا هو ولم ينشئكم
فيها غيره وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم وأمركم بالعمارة
والعمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك
فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار
الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من أنبياء
زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى إليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها
عبادي وعن معاوية بن أبي سفيان أنه أخذ في إحياء أرض في
آخر عمره فقيل له فقال ما حملني عليه إلا قول القائل ليس الفتى بفتى
لا يستضاء به ولا تكون له في الأرض آثار وقيل استعمركم من العمر
نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان أحدهما
أن يكون استعمر في معنى أعمر كقولك استهلكه في معنى أهلكه ومعناه

أعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء أعماركم والثاني
أن يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لأن الرجل إذا ورث
داره من بعده فكأنما أعمره إياها لأنه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب
داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله فينا فيما بيننا
مرجوًا كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكنا نرجوك
لننتفع بك وتكون مشاورًا في الأمور ومسترشدًا في التدابير فلما نطقت
بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك وعن ابن
عباس رضي الله عنه فاضلًا خيرًا نقدمك على جميعنا وقيل
كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد آباؤنا
حكاية حال ماضية مريب من أرابه إذا أوقعه في الريبة وهي
قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين أو من أراب الرجل
إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازي قيل إن كنت على بينة
من ربي بحرف الشك وكان على يقين أنه على بينة لأن خطابه
للجاحدين فكأنه قال قدروا أني على بينة من ربي وأني نبي على
الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره فمن يمنعني
من عذاب الله فما تزيدونني إذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون
أعمالي وتبطلونها أو فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه
غير أن أخسركم أي أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم إنكم خاسرون
آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل

فان قلت بم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة
لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال
عذاب قريب عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك
ثلاثة ايام ثم يقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم
وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم
وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون
من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء
وهلكوا يوم السبت غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف
واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه
او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به فقد صدق ولم
يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول
وكالمصدوقة بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم
لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب
فان قلت علام عطف قلت على نجينا لان تقديره
ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ
على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته
ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه
ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب
الآخرة وقرئ الا ان ثمود وليثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف

للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى
القبيلة رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنه
جاءه جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل
وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة
بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك
سلاما سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام
وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت
كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح فما لبث ان جاء فما لبث في المجيء
به بعجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل
والخبش بلغة اهل السراة وكان مال ابراهيم البقر حنيذ مشوي
بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس
اذا ألقيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين
يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك
انا انكرته ولكن منكر ومستنكر وانكرني وقال الاعشى وانكرتني
وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل
كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها
وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه
والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف
ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى

نوجهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم
يعرف فيم ارسلوا واوجس واضمر وانما قالوا لا تخف لانهم راوا
اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان
علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا
بعذاب وامراته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع
تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف عبد
الله رضي الله عنه وامراته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا
بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار
لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم
اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم
عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت
فحاضت وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب
رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود
اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له
اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب
بالنصب كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على
طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الالف في يا ويلتا
مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرا الحسن
يا ويلتي بالياء على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة

وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي
بدل من المبتدا وشيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل
بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولابراهيم مائة وعشرون
سنة ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد
من حيث العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة
تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الآيات
ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان
تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت
النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة
صلوات الله عليهم في قولهم رحمت الله وبركاته عليكم اهل
البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة و
يخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب واقر الله
تذرئه وحكمته وقوله رحمت الله وبركاته عليكم كلام مستانف
علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال
هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة
النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء
منهم وكلهم من ولد ابراهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد
من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب
على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ

المراد اهل بيت خليل الرحمن الروع ما اوجس من الخيفة حين
نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا
بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فان قلت اين جواب
لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا
وقوله يجادلنا كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترأ
على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال
يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما وانما جيء
به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي
كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا
واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا
انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلا
من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون
قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل واحد
مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم
بمن فيها لننجينه واهله في قوم لوط في معناه وعن ابن عباس
رضي الله عنه قالوا ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم
العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل
كان فيها اربعة الاف الف انسان ان ابرهيم لحليم غير عجول
على من اساء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب منيب تائب

راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب
والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان
يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله
على الاستغفار لابيه يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت له الملائكة
اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه
انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب
وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء
ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم
انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم
وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع
شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم
امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض
عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد
فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصبصب
اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده يهرعون يسرعون
كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك
الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها
وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم
حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل
ذلك

هولاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هولاء
بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما
زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي
العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان
مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرا ابن مروان هن اطهر لكم
بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن
ابي عمرو بن العلاء من قرا هن اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك
ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هولاء من معنى الفعل
كقوله هذا بعلي شيخا او ينصب هولاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا
هولاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز
لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي
الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان تكون هولاء
مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا اخي هو ويكون
اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزوني ولا تهينوني
ولا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي
في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل
وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد
رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ
ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة

في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في
ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور
الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن
ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك
لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان
الذكران مذهبا ودينا لتواطؤهم عليه كان عندهم انه هو الحق
وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من
حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه
ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة وانك لتعلم ما نريد
عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو ان لي بكم قوة
لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لكم
بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى
لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني
منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته
ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال
النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن
شديد وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة
او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين
وروي انه اغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه

يجادلهم فتسوّروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب
قالوا يا لوط إن ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح
الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل
ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في صورته التي يكون فيها فنشر جناحه
وله جناحان وعليه وشاح من درّ منظوم وهو براق الثنايا
فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله عز وجل
فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء
النجاء فإن في بيت لوط قوماً سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة
للتي قبلها لأنهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره
قرئ فاسر بالقطع والوصل والا امرأتك بالرفع والنصب وروي انه
قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال أريد أسرع من ذلك
فقالوا أليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين فان قلت
ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب قلت استثناها
من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله رضي الله عنه
فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت
على أصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرأ
بالرفع فأبدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه
اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة
العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وروي

انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف
القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل
جناحه في أسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب
وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل
قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين
وقيل هي من أسجله اذا أرسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه
قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل
وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضداً معداً للعذاب
وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعاً مسومة معلمة للعذاب
وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما
تعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد
اسم من يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة
وعن رسول الله صلى الله عليه انه سأل جبريل فقال يعني ظالمي امتك
ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة
وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في
مسايرهم بعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها
وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها
فهي اسرع شيء لحوقاً بالمرمي فكأنها بمكان قريب منه اني اريكم بخير
يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اريكم بنعمة من الله حقها

ان تقابل بغير ما تفعلون أو أرىكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه
كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض
فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا يوم محيط مهلك من قوله
وأحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت
وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها قلت
بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط
بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه
فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا
قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال
والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد
الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب
فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه
العدل والسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان
ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي
عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط
وعدل فهذه ثلاث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس
البخس قال زهير وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس
درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما تفعل السماسرة
او كانوا يمكسون الناس وكانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من

من الاشيا فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع
السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض
بقيت الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم
ان كنتم مؤمنين شرط ان تؤمنوا فان قلت بقيت الله خير
للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط
الايمان قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب
مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها
في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة
شأنه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم
ويجوز ان يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله
والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله تعالى من
حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله
ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله
بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا
عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها
وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت
كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا رأوه يصلي تغامزوا
وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك تأمرك السخرية والهزء والصلوة
وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان

ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة تأمر بالجميل
والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق
الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وارادوا ان هذا
الذى تأمر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله
لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يأمرك به
آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلاتك التى تداوم عليها فى ليلك و
نهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون
من بعض الاقوال والافعال ومعنى تأمرك ان نترك تأمرك بتكليف ان
نترك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذى هو التكليف لان الانسان
لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلاتك بالتوحيد وقرأ ابن ابى عبلة او ان
تفعل فى اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من
ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير
وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا
بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغى فعكسوا
ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذى لا يبض حجره فيقال له
لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد
فى قومك يعنون ان ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقنى
منه اى من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من الحكمة والنبوة وقيل
رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت

اين جواب ارأيتم وماله لم يثبت كما اثبت فى قصة نوح ولوط وصالح
قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته فى القصتين
دل على مكانه ومعنى الكلام ينادى عليه والمعنى اخبرونى ان
كنت على حجة واضحة ويقين من ربى وكنت نبيا على الحقيقة ايصح
لى ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصى والانبياء
لا يبعثون الا لذلك يقال خالفنى فلان الى كذا اذا قصده وانت
مول عنه وخالفنى عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل
صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفنى الى الماء يريد انه
قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعنى ان اسبقكم الى شهواتكم التى
نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان
اصلحكم بموعظتى ونصيحتى وامرى بالمعروف ونهيى عن المنكر
ما استطعت ظرف اى مدة استطاعتى للاصلاح وما دمت متمكنا
منه لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته
منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح
اصلاح ما استطعت او مفعول له كقوله ضعيف النكاية اعداءه
اى ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم
وما توفيقى الا بالله وما كونى موفقا لاصابة الحق فيما آتى واذر ووقوعه
موافقا لرضا الله الا بمعونته وتأييده والمعنى انه استوفق ربه فى امضاء الامر

على سننه وطلب منه التأييد والإظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار
وجرم لا ظاعن فيه جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين
تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال جرمت فزارة
بعدها ان يغضبوا ومنه قوله تعالى ولا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم
اى لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من
اجرمته ذنبا اى جعلته جارما له اى كاسبا وهو منقول من جرم
المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا
فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا
واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا
ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد
بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور
وهم له اكثر استعمالا وقرأ ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب
بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت
وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم
فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق
به الهلاك **فان قلت** ما للبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله
على لفظه او معناه **قلت** اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما
هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في قريب وبعيد
وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي

الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم
ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال ما نفقه
كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية
له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم
لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول
الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه
هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب
الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا
فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا
مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا
وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى
لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث
جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة
وانما قالوا ولولا هم احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم
لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما انت علينا
بعزيز اى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن
الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا
ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام
واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك

تفسير كلمة الرهط

م

هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله فبوبل

وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب **فان قلت** فالكلام واقع

فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز

عليكم من الله **قلت** تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين

عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى

الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم

ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري

منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة

الى الامس امسي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه

شيء منها على مكانتكم لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان يقال

مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة

فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من

الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها

اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتاييد ويمكنني

من يأتيه يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم

عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه

واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف

تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب

فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون

قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها

وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا

فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف

تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة

كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو

باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة

وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من

رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب

كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع

فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه

ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه

عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب

يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم

قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا

قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم **فان قلت**

ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان

الوسطيان بالفاء **قلت** قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد

وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء

الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت

واما الآخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان
حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة
الجاثم اللازم لمكانه لا يبرح كاللابد يعنى ان جبريل صاح بهم صيحة
فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو فجأة كأن لم يغنوا كأن لم يقيموا
فيها فى ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك
كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت وقرأ السلمى بعدت بضم
العين والمعنى فى البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا
التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين
ضمانى الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمى جاءت على الاصل
اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى
فى معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود
منها باياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الايات
فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان
المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه
حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى
مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر
بالعسف والظلم والشر الذى لا يأتى الا من شيطان مارد ومثله
بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا
على طاعته والامر الرشيد الذى فيه رشد اى وما فى امره رشد
انما هو غى صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم
ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الايات والسلطان
المبين فى امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا
عن اتباعه الى اتباع من ليس فى امره رشد قط يقدم قومه اى كما كان
قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد
بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون
قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اى كيف يرشد امر من هذه
عاقبته كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه
قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش
واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت
هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جئ بلفظ الماضى قلت
لان الماضى يدل على امر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم
النار لا محالة والورد المورد والمورود الذى وردوه شبه بالفارط
الذى يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس
الورد الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش
وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا فى هذه فى هذه الدنيا لعنة
اى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم
اى بئس العون المعان وذلك ان اللعنة فى الدنيا رفد للعذاب
ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى

ذلك مبتدأ من أنباء القرى نقصّه عليك خبرٌ بعد خبرٍ اي ذلك النبأ بعض
انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى اى بعضها باقٍ
وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد فان قلت
ما محل هذه الجملة قلت هو مستانفة لا محل لها وما ظلمناهم
باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما
اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت ان تردّ عنهم باس الله يدعون
يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر
ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تبّ اذا خسر وتبّبه غيره
اذا اوقعه فى الخسران ومحل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ
اخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ
اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على
الماخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة
من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه
فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا
يغتر بالامهال ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم
لآية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين فى الدنيا
وما هو الا انموذج مما اعد لهم فى الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته
اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا فى
زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك

اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول
الذى هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاى فائدة
أوثر اسم المفعول على فعله قلت لما فى اسم المفعول من دلالة على ثبات
معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس
له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى
الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك
محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس فى الفعل وان
شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما
قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الثواب والحساب والعقاب
يوم مشهود مشهود فيه فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به لقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا اى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه
احد والمراد بالمشهود الذى كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس
مشهود وطعام محضور قال فى محفل من نواصي الناس مشهود
فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا فى نفسه دون ان
تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه
قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين
الايام فان جعلته مشهودا فى نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها
ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما ميز يوم الجمعة عن
ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا فى نفسه

الشهر

لانّ سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن
شهد منكم الشهر فليصمه منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في
فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني من كان منكم
مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا
فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر
الاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى
الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حلّ الاجل واذا جاء اجلهم يراد آخر
مدة التاجيل والعدّ انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما
نؤخّره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ
وما يؤخّره بالياء قرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل

يوم يأت

وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسر كثير في لغة هذيل فان قلت
فاعل يأتي ما هو قلت الله عزّ وجلّ كقوله هل ينظرون
الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرأ
وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم
هل ينظرون الا ان كقوله تأتيهم الساعة فان قلت بم انتصب الظرف قلت
اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله
الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي فان قلت فاذا جعلت
الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحدّدت
الشيء بنفسه قلت المراد اتيان هوله وشدائده لا تكلم لا تتكلم

لا تكلم نفس الا باذنه

١٠٧

وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت
كيف يوفّق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها
وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت
ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم
وفي بعضها يكفّون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون
وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل
الموقف لم يذكروا لانّ ذلك معلوم ولانّ قوله لا تكلم نفس يدل عليه
وقد مرّ ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار
لاساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه قراءة العامة بفتح
الشين وعن الحسن شُقوا بالضم كما قرئ سُعدوا والزفير اخراج النفس
والشهيق ردّه قال الشماخ بعيد مدى التطريب اول صوته زفير
ويتلوه شهيق محشرج ما دامت السموات والارض فيه وجهان
احدهما ان تراد سموات الآخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل
على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدّل الارض غير الارض والسموات
وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بدّ لاهل
الآخرة مما يقلّهم ويظلّهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما
اظلك فهو سماء والثاني ان يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول
العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات
التأبيد فان قلت ما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك

فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق

خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك

وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء **قلت** هو استثناء من الخلود في عذاب النار الابد ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك
ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير
وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط
الله عليهم وخسئه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة
ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم [منه] رضوان الله كما قال وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل
الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو هو المراد بالاستثناء
والدليل عليه قوله [عطاء] غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال
لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة
عطاءه الذي لا انقطاع له فتامله فان القرآن يفسر بعضه بعضا
ولا تخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر
من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم وتسجل
بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه [تغلق]
ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني
ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون
في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية

[الحديث]
الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا
عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير
فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه [حسام ولسانه]
ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن
تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية
[مما يدل على ان هذا الحديث مفترى] كقوله لهم اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما
احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما
يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص في سوء
عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال
ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال
آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل باآبائهم فسينزل
بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز
ان تكون مصدرية وموصولة [ما يعبدون] اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون
من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم
من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم **فان قلت** كيف نصيب غير
منقوص حالا عن النصيب الموفى **قلت** يجوز ان يوفى وهو ناقص
ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه
كاملا وناقصا فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن

عطاء غير مجذوذ

ولولا كلمة يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى
او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا وان كلا التنوين عوض
من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه ليوفينهم
جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى ان
جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود
وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا
لاصلها الذي هو التثقيل وقرا ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية
ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرا الزهري
وسليمان بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى
وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله
فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت فاستقم استقامة
مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب
معك معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد
بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب
عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير
عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القران آية كانت اشد ولا
اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما
وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن

بعضهم رايت رسول الله في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني
هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك
الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق
رضي الله عنه فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم وقرئ
ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء
وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في
كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرا بكسر التاء فتمسكم
النار وقرا ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه
اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم
ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم
والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما
فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير
وقوله الى الذين ظلموا اي الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين
وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا بهذه الآية فغشي عليه فلما
افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن
الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا
ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا
الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك
ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله

بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق
على العلماء، قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم
ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم
وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين
ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحا باطلهم وجسرا يعبرون
عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك
بك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك
في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من
دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم
خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا
فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك
فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على
الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم
واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من
شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن سلمة الذباب
على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله
في ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في
برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه

يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم
اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله
من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم
منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم
وترك الابقاء عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت
معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم
العذاب واقتضاء حكمته له طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا
من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر
النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة الفجر
وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة
الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما
مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف
النهار واوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم
المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا
بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة
والزلف بالسكون كبسرة وبسر والزلف بضمتين كبسر في بسر والزلفى
بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر
النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها
على هذا التفسير ان تعطف على الصلاة اي اقم الصلاة طرفي النهار

واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل
في بعض الليل إن الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما
ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة
كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات
بأن يكن لطفا في تركها كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر
[فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر]
فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها
وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر
امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت
وروى انه اتى ابا بكر رضي الله عنه فاخبره فقال استر على نفسك وتب
الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله فنزلت فقال
عمر أهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا
وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله
فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر
بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية
وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت
به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء
عما نهيت عنه فلا يتم شئ منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء

بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء
عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات
فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في
القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية
ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا
رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولو بقية
اولو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما
يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان
من بقية القوم اى من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا
ثم يأتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا
ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اى فهلا
كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه
وقرئ اولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره
ومنه بقينا رسول الله والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان
منهم اولو مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه
بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا
من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن
انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي
للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء

واخذنا الذين ظلموا فان قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلاً
وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلاً على ما عليه ظاهر
الكلام كان المعنى فاسداً لانه يكون تحضيضاً لاولي البقية على
النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ
قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين
على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد
الا القليل من الناجين بمعنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان
من القرون اولوا بقية الا قليلا كان استثناء متصلاً ومعنى صحيحاً
وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع
على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركي
النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين
وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا
ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب
اسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم
وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء
ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء
اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا
منهم وهلك السائر فان قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا
قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفاً على

مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين
ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء
الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا
جزاءهم فان قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت على اترفوا
اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام
او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر وعلى اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم و
كانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضاً وحكماً عليهم بانهم
قوم مجرمون كان بمعنى صح واستقام واللام لتأكيد النفي وبظلم
حال من الفاعل والمعنى وما استحال في الحكمة ان يهلك الله القرى
ظالماً لها واهلها قوم مصلحون تنزيهاً لذاته عن الظلم وايذاناً
بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه
لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق
فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فساداً آخر ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة اي ملة واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل ملة
واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة
واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق
على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف
فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك الا ناساً هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا

على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه
الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه
الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل
بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه
عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبا نقص عليك من انباء
الرسل بيان لكل وما نثبت به فوادك بدل من كلا ويجوز ان يكون
المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص
نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص
ومعنى تثبيت فواده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر
الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق اي في هذه
السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى
وقل للذين لا يومنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على حالكم
وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون
ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم عليه خافية مما يجري فيها
فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم
وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك وما
ربك بغافل عما يعملون وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب
المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي

النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه

من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح
وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى

ذلك سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الايات
التي انزلت اليك في هذه السورة ايات السورة الظاهر امرها في اعجاز
العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند
البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم
او قد ابين فيها ما سالت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي
ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب
من الشام الى مصر وعن قصة يوسف انا انزلناه انزلنا هذا الكتاب
الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن
قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة
ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا
اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته القصص على وجهين يكون مصدرا
بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله
شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب وكون النبا
والخبر في معنى المنبا به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول

بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقتص عليك
احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القران اى بايحائنا
اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته
اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا
القران مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القران بنقص كانه قيل
نحن نقتص عليك احسن الاقتصاص هذا القران بايحائنا اليك
والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب
اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب
التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القران
وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص
من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمنه من العبر والنكت
والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص
في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه
فان قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص اثره
اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا
كما يقال تلا القران اذا قراه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه اية بعد اية
وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها
وبين النافية والضمير في قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان
الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه اي من الجاهلين به

ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف
بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل
على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار
اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا
لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن
قرا يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال
هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من آسف
وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة
المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية
تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلث
ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس واونس
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
يا ابت قرئ بالحركات الثلث فان قلت ما هذه التا قلت
تا تانيث وقعت عوضا عن يا الاضافة والدليل على انها تا تانيث
قلبها ها في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تا التانيث
بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل
ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تا التانيث
من يا الاضافة قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان

في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره فان قلت
فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك
يا ابي وقد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها
مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها
التاء وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء
حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين الياء
واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح
نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاء
وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم
الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوزن يا ابت
قلت الياء والكسرة غير متعوض لها ولا يجمع بين العوض والمعوض منه
الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون
الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد
ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك
فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها
قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة
لغو ووجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء
اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها قلت
اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها

كما فعل من حذف الياء في يا غلام وجوز ان يقال حركها بحركة
الياء المعوض منها في قولك يا ابي واما من ضم فقد رأى اسما في آخره
تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابة كما تقول
يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة وقرئ اني
رايت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات
فيما هو في حكم اسم واحد ولذا الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان
ورايت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان
الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة
لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه
وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت
روى جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه فقال يا محمد
اخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق
والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والفروح والوثاب
وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء
وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس
والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن
وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا
طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا

صغيرة ثبت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه
فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة
الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها
عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير
اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون فان قلت
لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على
طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما
من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها
لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر
فان قلت ما معنى تكرار رايت قلت ليس بتكرار
انما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب
عليه السلام قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف
رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين فان قلت
فلم اجريت مجرى العقلاء في رايتهم ساجدين قلت لانه لما
وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم
كانها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من
بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة
والمقاربة عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على ان يوسف
يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف

اراد القصة في رايتهم وفي قوله ساجدين

١١٦

شرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا
بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق
بينهما بحرفي التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة
واوا وسمع الكسائي رياك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان
الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر
الازار واتجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم
كادوك فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت
ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل
المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى
تاكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء لقوله
لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من
يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك
ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز
وكبرياء شأن كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدأ
غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك
والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك
وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما
حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان
يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل

الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبيا وما غمض واشتبه على
الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على
مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال
قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث بعده يؤمنون
الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى
اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبيا
في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها
على ابراهيم بالخلة والانجا من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه
من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه
وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبيا استدلالا بضوء
الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرويا اخوة
يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وقيل
كان يعقوب موثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه
من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرويا ضاعف له المحبة
وكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد
وقيل لما قص روياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك
بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل
بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي
وآل الملك ولا يقال آل الحايك وآل الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد

وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان
كان بينه وبين فلان عدة وابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان
ربك عليم يعلم من يحق له الاجتبا حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها
في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلايل على قدرة
الله وحكمته في كل شي للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل
آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم
بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف
عبرة وقيل انما قص الله على النبي صلى الله عليه خبر يوسف وبغي
اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى به وقيل اسماوهم
روبيل وشمعون ولاوي وريالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي
وجاد وآشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت يعقوب والاربعة
الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها
راحيل فولدت له بنيامين ويوسف ليوسف اللام لام الابتدا وفيها
تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر
ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا
اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل
من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمونث اذا كان معه
من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو
في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان

صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة
نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة
عليهما إن أبانا لفي ضلال مبين أي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك
والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل إلى الأربعين سموا بذلك
لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب وروى النزال بن
سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبةً بالنصب وقيل معناه
ونحن نجتمع عصبةً وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب إنما العامري
عمّته أي يتعمد عمّته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله إذ قالوا
كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل
شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين أرضًا
أرضًا منكورةً مجهولةً بعيدةً من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها
من الوصف ولإبهامها من هذا الوجه نُصبت نصب الظروف المبهمة
يخل لكم وجه أبيكم يُقبل عليكم إقبالةً واحدةً لا يلتفت عنكم
إلى غيركم والمراد سلامة محبته ممن يشارككم فيها وينازعكم
إياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على
الشيء أقبل بوجهه ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك
وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف
أي من بعد كفايته بالقتل والتغريب أو يرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا
قومًا صالحين تائبين إلى الله مما جنيتم عليه أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم

بعذر تمهدونه أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلو وجه أبيكم وتكونوا
إما مجزوم عطفًا على يخل لكم وإما منصوب بإضمار أن والواو بمعنى مع كقوله
وتكتموا الحق قائل منهم هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيًا وهو الذي قال فلن
أبرح الأرض قال لهم القتل عظيم ألقوه في غيابة الجب وهي غوره وما
غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله قال المنخّل إن أنا يومًا
غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والأهل أراد غيابة حفرته
التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيّابات بالتشديد وقرأ
الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لأن الأرض تجب جبًا لا غير يلتقطه
بالياء بعض السيارة بعض الأقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه
بالتاء على المعنى لأن بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من
الدم ومنه ذهبت بعض أصابعه إن كنتم فاعلين إن كنتم على أن تفعلوا
ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي ما لك لا تأمنّا قرئ بإظهار النونين
وبالإدغام بإشمام وبغير إشمام وتيمنّا بكسر التاء مع الإدغام والمعنى
لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجدت منا
في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد
يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على أنه
أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه نرتع نتسع في أكل الفواكه وغيرها
وأصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي وقرئ يرتع
ويلعب بالياء ويرتع من أرتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر

العين ويلعب بالرفع على الابتدا، فان قلت كيف استجازهم
يعقوب عليه السلام اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال
ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا
نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته ليحزنني اللام لام الابتدا كقوله ان
ربك ليحكم بينهم ودخولها لحد ما ذكره سيبويه من شبه المضارعة اعتذر
اليهم بشيئين لحدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه
كان لايصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذيب اذا
غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم
وقيل رأى في النوم ان الذيب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن
ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرى الذيب
بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذائبت الريح
اذا اتت من كل جهة القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذيب
واللام موطية للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزي عن
جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما
خافه من خطفة الذيب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال
بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم لقوم خاسرون اي هالكون
ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا
جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار ولن
فقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذيب بعضهم وهم حاضرون

وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذن و
خسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما
دون الاخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه
اذانا صما ولم يعبأوا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر
وازمعه فاجمعوا امركم وقرى في غيابات الجب قيل هو بير بيت المقدس
وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة
فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما
فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له
العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم
يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا
ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني
موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها
من يديه فتعلق بحائط البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال
يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم
ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا
تونسك ودلوه في البير فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البير
ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها
رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا
وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم صلوات الله عليه

حين ألقي في النار جرّد عن ثيابه أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه
إياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة
علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فأخرجه وألبسه إياه وأوحينا
إليه قيل أوحي إليه في الصغر كما أوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان إذ
ذاك مدركاً وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بأمرهم
هذا إنما أوحي إليه ليؤنس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول إليه
أمره ومعناه لتتخلصن مما أنت فيه ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك وهم
لا يشعرون أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك
عن أوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والأشكال وذلك أنهم حين
دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه
على يده ثم نقره فطنّ فقال إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ
من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه
في غيابة الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز أن
يتعلق وهم لا يشعرون بقوله وأوحينا على أنا آنسناه بالوحي وأزلنا
عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش
لا أنيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على أنه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون
متعلق بأوحينا لا غير وعن الحسن عُشيّاً على تصغير عشيّ يقال لقيته
عُشيشياناً وعشيّاناً وأُصيلاً وأُصيلاناً ورواه ابن جني عُشىً بضم العين
والقصر وقال عشوا من البكاء وروي أن امرأة حاكمت الى شريح

فبكت فقال له الشعبي يا أبا أمية أما تراها تبكي قال قد جاء
إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بما أمر أن
يقضي به من السنة المرضية وروي أنه لما سمع صوتهم فزع وقال
ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم وأين يوسف
قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق أي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان
كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق
في العدو أو في الرمي وجاء في التفسير ننتضل بمؤمن لنا بمصدق لنا
ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة
محبتك ليوسف فكيف وأنت سيّئ الظن بنا غير واثق بقولنا بدم
كذب ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه
كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود
وأنتم به بخل وقرئ كذباً على الحال بمعنى جاؤوا به كاذبين ويجوز أن
يكون مفعولاً له وقرأت عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير
المعجمة أي كدر وقيل طري وقال ابن جني أصله من الكدب وهو
الفوف البياض الذي يخرج على أظفار الأحداث كأنه دم قد أثر في
قميصه وروي أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه وروي
أن يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص
فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال
تالله ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه

وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلاً ليعقوب على
كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيراً ودليلاً على براءة يوسف حين
قدّ من دبر فإن قلت على م نصب ما محله قلت محله النصب
على الظرف كأنه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله
بأحمال فإن قلت هل يجوز أن يكون حالاً متقدمة قلت
لا لأن حال المجرور لا يتقدم عليه سوّلت سهّلت من السول وهو
الاسترخاء أي سهّلت لكم أنفسكم أمراً عظيماً ارتكبتموه من يوسف
وهوّنته في أعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم
وبسلامة القميص او اوحى اليه بأنهم قصدوه فصبر جميل خبر او
مبتدأ لكونه موصوفاً أي فأمري صبر جميل او فصبر جميل أمثل
وفي قراءة أبي فصبراً جميلاً والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع انه الذي
لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق ألا ترى الى قوله انما
أشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون
لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه وكان يرفعهما
بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الأحزان
فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكوني قال يا رب خطيئة
فاغفرها لي والله المستعان أي استعينه على احتمال ما تصفون
من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة تسير
من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الجب

فأخطأوا الطريق فنزلوا قريباً منه وكان الجب في قفرة بعيدة
من العمران لم يكن إلا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحاً فعذب
حين ألقي فيه يوسف فأرسلوا رجلاً يقال له مالك بن ذعر الخزاعي
ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشرى نادى
البشرى كأنه يقول تعالي فهذا من آونتك وروي يا بشراي على اضافتها
الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشريّ بالياء مكان الالف جعلت
الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت
أهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولي وعن نافع
يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير
حده الا ان يقصد الوقف فأدلى دلوه أي أرسلها في الجب فتعلق
يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام أحسن ما يكون فقال يا بشراي
هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك
يبشرهم به وأسروه الضمير للوارد واصحابه أخفوه من الرفقة
وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا
اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس رضي الله عنه ان
الضمير لإخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه
منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال
أي أخفوه متاعاً للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة
أي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه أسرارهم وشروه

حيث استبضعوا ما لبس حهم اذ والله عليم بما يعمل اخوة يوسف
بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس
ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم
لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما
بلغ الاوقية وهي اربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة
لان الكثيرة تمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس رضي الله عنه
كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين
ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به لا يبالي بم باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه
من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى
وشروه واشتروه الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم
اعتقدوا انه ابق فخافوا ان يخطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته
اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وقوله فيه ليس من صلة
الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا ترى انك لا تقول وكانوا زيدا
من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال
زهدوا فيه الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان
على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق
وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملكه بعده قابوس بن مصعب
فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشر سنة

واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو
ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين
سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه
فرعون موسى عاش اربع مائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون
يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين
ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ
ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اكرمي
مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل
قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه
بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا
ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او
امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك
به واللام في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله
اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما
نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه
مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له قد تفرس فيه الرشد
فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في
يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمرأة التي اتت

موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله
عنهما وروى انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك
الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف
منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنّا له اى كما انجيناه
وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف
فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء
والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله
غالب على امره اى على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد
ويقضي او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره قد اراد اخوته به ما ارادوا
ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر
كله بيد الله قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلاث
وثلاثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما حكمة
وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس
وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا
في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه
وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة
في اكتهاله المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى
خادعته عن نفسه اى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن
الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذه

منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل كانت
سبعة قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين
وعيط وهيت بكسر الهاء وضمها وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء
يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيئت لك واللام من صلة الفعل واما في
الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله
اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث ربي سيدي ومالكي يريد
قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه
في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون
الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد
الله تعالى لانه مسبب الاسباب هم بالامر اذا قصده وعزم عليه
قال هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي
حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اى ولا اكاد ان
افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو
الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد همت به معناه
ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان رأى برهان
ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان راى برهان ربه لخالطها وحذف
لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله
معناه لولا اني خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على
نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت المراد

ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب
وقرمه ميلاً يشبه الهم به والقصد اليه وكما يقتضيه صورة تلك
الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده
بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب
المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى همًّا لشدته لما كان صاحبه
ممدوحًا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على
حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه
الله بانه من عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف
ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل
ومقاربته كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت
حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت
الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم
القسم وجعله كلامًا برأسه ان يقف على قوله ولقد همت به و
يبتدئ قوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضًا اشعار بالفرق
بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفًا يدل
عليه وهم بها وهلا جعلت هو الجواب مقدمًا قلت لان لولا لا يتقدم عليها
جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما
في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقدم بعض الكلمة
على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت

فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة
قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني
فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا بين اثنين معًا فكانه
قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت
نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل
التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اغفاله الغاله
فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها
على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء
شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها
لولا ان رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة
فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده وقد فسر
هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه
حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على
قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتًا اياك واياها فلم يكترث
له فسمعه ثانيًا فلم يعمل به فسمع ثالثًا اعرض عنها فلم ينجع فيه
حتى مثل له يعقوب عاضًا على انملته وقيل ضرب بيده
في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له
اثنا عشر ولدًا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدًا من اجل ما نقص
من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر

كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما
ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي قبل
ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل
عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى
تمثال العزيز وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته
وقالت أستحيي ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر
ولا أستحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه
مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه
واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل
ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه و
ذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم صلوات الله عليه زلته
وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم
واستغفارهم كيف وقد اثني عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه
ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولى
القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله
الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر

كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة
عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم
وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت
في مواقف العثار فاخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون
انزال الله السورة التي هي احسن القصص في القرآن العربي المبين
ليقتدى بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل
تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من
عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد
الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه
وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل
وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم
وجها لقي بادنى ما لقي به مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا
عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه
كذلك الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه
اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء
من الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح
الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات
الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه
بعض عبادنا اي مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه

لأنه من ذرية ابراهيم الذين قال فيهم إنا أخلصناهم بخالصة
واستبقا الباب وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل
كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها
يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج
فان قلت كيف وحّد الباب وقد جمعه في قوله وغلّقت الابواب
قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص فقد
روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط
حتى خرج من الابواب وقدّت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه
فانقدّ اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه وألفيا
سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل
انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة
لدى الباب مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة
لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف
اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها
عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان
يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما أيست من مواتاته طوعا
الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية اي ليس
جزاؤه الا السجن ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه
الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح

في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت العموم وان
كل من اراد بأهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك
ابلغ فيما قصدت من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب
بالسياط ولما أغرت به وعرّضته للسجن والعذاب وجب عليه
الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم
عليها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما
ألقى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون أوجب
للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل
هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما
يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار
فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة
له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد
وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت
لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى
الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فان قلت
الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت
لانها قول من البشر او على ارادة القول كأنه قيل وشهد شاهد
فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قدّ قميصه من دبر على انها

كاذبة وانما هي التي تبعته واجتبذت ثوبه اليها فقدّته فمن اين دلّ قدّه
من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين
احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدّت قميصه
من قدّامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه
فيشقه وقرئ من قبلُ ومن دبرُ بالضم على مذهب الغايات والمعنى من
قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها
قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرأ من قبلَ ومن
دبرَ بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث
وقرئ بسكون العين فان قلت كيف جاز الجمع بين ان الذي
هو للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان
قميصه قدّ ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل
لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك فلما
رأى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه
ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها
في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء
لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة
ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن
شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس
مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء

اكثر مما اخاف من الشيطن لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان
كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف
النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف
لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري انت
لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال
خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا
للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل
الغيرة وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي
وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة
الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة
ولذلك لم تلحق فعلة تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في
المدينة في مصر امرأة العزيز يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب
فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي شغفها خرق
حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب
وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة وقد حال
هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع وقرئ شعفها
بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال
كما شعف المهنوءة الرجل الطالي وحبا نصب على التمييز في ضلال مبين
في خطأ وبعد عن طريق الصواب بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن

وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها أرسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات وأعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد الجمع من المكر به وبهن فتضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا وآتتهن السكاكين ليعالجن بها ما ياكلن وقيل متكئا طعاما من قولك اتكانا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كأنه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح وينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج

وأنشد فأهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت اهدت اترجة على ناقة وكأنها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه وقرأ الاعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ أكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس بالحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكأن ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه

وعن ابي علي الفارسي قوله حاشا لله معناه جانب يوسف الفاحشة لاجل الله فجعل حاشا فعلا كقول النابغة وما أحاشي من الاقوام من احد

في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال حاشا ابي ثوبان
ان به ضنًّا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر فوضعت
موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على اضافة حاشا الى الله اضافة
البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيًا لك كانه قال براءةً
ثم قال لله لبيان من يبرّأ وينزّه والدليل على تنزيل حاشا منزلة
المصدر قراءة ابي السمّال حاشًا لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو حاش لله
بحذف الالف الآخرة وقراءة الاعمش حشا لله بحذف الالف الاولى
وقرئ حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في
الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده
وقرئ حاشا الاله فان قلت فلم جاز في حاش لله ان لا ينوّن بعد
اجرائه مجرى براءةٌ لله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى
الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله
وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى
تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله
واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على
خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة
حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم
وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان

لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبّه كل متناهٍ في الحسن والقبح بهما
وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر
من الشيطان ولا اجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة
من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم
للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة
القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرأ
على سليقته من بني تميم قرأ بشرٌ بالرفع وهي قراءة ابن مسعود رضي الله
عنه وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم
تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك
بشرى ام بكرى والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة
بشر لملك قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعًا لمنزلته في الحسن
واستحقاق ان يحبّ ويفتتن به وربئًا بحاله واستبعادًا لمحله ويجوز
ان يكون اشارةً الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول
هو ذلك العبد الكنعاني الذي صوّرتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن
لم تصوّرنه بحق صورته ولو صوّرتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به
الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد
كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع
الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف
عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بريء مما اضيف

اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان فان قلت الضمير في آمره
راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما آمر به
فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع
الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل أمري اياه اي موجب امري ومقتضاه
قرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون كتبت
في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة وقرئ
السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن
جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء
نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول
السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن
مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف
كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه
وآثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية
وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها والا
تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة
الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر
لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه اصب اليهن
أمل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو
اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين

من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن
لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة
ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء
باللطف السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم
بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم
بداء اي ظهر لهم راي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما
رأوا الآيات وهي الشواهد على برائته وما كان ذلك الا باستنزال
المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة
لها وجملا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات
وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما
ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره
لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم
العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين
الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون
منه وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه عتى حين وهي لغة هذيل
وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من اقرأك قال
ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله
بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل
والسلام مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير

تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان
عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن
فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني بعني في المنام وهي حكاية حال
ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر
بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه اعصر عنبا
من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها راياه يقص عليه
بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما
سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن
فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل ما رايناه ان كانت
لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه
واذا ضاق اوسع عليه واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن
ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا
تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك
لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب
بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن
لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن
شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رايناك فقال
انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه
بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي

من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني
بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي
اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب
فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني
وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير
تنهشن منها **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله
قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في كونه كانه
قيل نبئنا بتاويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك
فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب
وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما و
يصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه
كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما
الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل
ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان
يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما
هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه ذلك وفيه ان
العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه
ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتاويله
ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب

عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التأويل اى ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات
مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان
يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي
لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة
الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان
على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان
غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد كفرهم عندهم
بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر
بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين
اودعوه السجن بعدما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك
الا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما انه
من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره
ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح
لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني او انسي
فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من
فضل الله علينا وعلى الناس اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم
نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم
لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا يتنبهون وقيل ان ذلك من فضل
الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب
مثل

لان العفو استحقاقه عنده

مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس
لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين
يا صاحبي السجن يريد يا صاحبيّ في السجن فاضافهما الى السجن
كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة
فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف
عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى
الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما
صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار
واصحاب الجنة أأرباب متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول
أأن تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام
ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل
هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام
ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء
يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم
لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم
بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من
سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم
به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي
دلت عليه البراهين اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده

وقرا عكرمة فيسقى ربّه اى يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روى
انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك
عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضى فى السجن ثم تخرج
وتعود الى ما كنت عليه وقال للثانى ما رايت من السلال ثلاثة ايام
ثم تخرج فتقتل قضى الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما
فان قلت ما استفتيا فى امر واحد بل فى امرين مختلفين فما وجه
التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله
وظنا ان ما رايا فى معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه فى الامر الذى
نزل بهما عاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضى الامر الذى فيه تستفتيان
اى ما يجر اليه من العاقبة وهى هلاك احدهما ونجاة الاخر وقيل
جحدا وقالا ما راينا شيئا على ما روى انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن
صدقتما او كذبتما ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه السلام ان كان
تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحى فالظان هو الشرابى او يكون
الظن بمعنى اليقين اذكرنى عند ربك صفنى عند الملك بصفتى وقص
عليه قصتى لعله يرحمنى وينتاشنى من هذه الورطة فانساه الشيطان
فانسى الشرابى ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله
حين وكل امره الى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى تسع
والاكثر على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر الشيطان
على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشىء من اسباب

النسيا

النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره واما الانساء
ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من اية او ننسها
فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هى
باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه فى
قولك فانساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه فجازت اضافته
اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان
ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذى هو الاخبار فان قلت
لم انكر على يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله فى كشف ما كان فيه
وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية
عن عيسى عليه من انصارى الى الله وفى الحديث الله فى عون العبد
ما دام العبد فى عون اخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج
الله عنه كربة من كرب الاخرة وعن عائشة رضى الله عنها ان
رسول الله صلى الله وسلم لم ياخذه النوم ليلة من الليالى وكان يطلب
من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل
التداوى بالادوية والتقوى بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك
لان الملك كان كافرا فلا خلاف فى جواز ان يستعان بالكفار
فى دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت
كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها
واولاها والاحسن والاولى بالنبى ان لا يكل امره اذا ابتلى ببلاء

الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصًا اذا كان المعتضد به كافرًا لئلا
تشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه
لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قراها ويقول نحن
اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس لما دنا فرج يوسف راى ملك مصر الريان
بن الوليد رؤيا عجيبة هالته راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر
يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان وراى سبع
سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعًا اخر يابسات قد استحصدت
وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها
فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة
وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت هل من فرق بين ايقاع
سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع
بقرات سمانًا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت
الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن
ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع
منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل
سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس
والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون
ثلاثة فرسان وخمسة اصحب قلت الفارس والصاحب
والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها

ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ
فان قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى
انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات
قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع
الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف
الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعًا لعجفاء وافعل
وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم
حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الاية
دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعًا كالخضر قلت
الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف
والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر
يابسات بمعنى وسبعًا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخر
يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي في
حكمها فتكون معها مميزًا للسبع المذكورة ولفظ الاخر يقتضي ان يكون غير
السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح
لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم
قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام واخرين قعود
تدافع ففسد يا ايها الملا كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام
في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين وامّا

ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه
مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر
للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان
كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون
خبرا آخر او حالا وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام
كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا
ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ
آخر عرضه ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها
وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون
عبّرت بالتشديد والتعبير والمعبّر وقد عثرت على بيت انشده المبرد
في كتاب الكامل لبعض الاعراب رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام
عبّارا اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث
نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات
وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اى اضغاث
من احلام والمعنى هى اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد
فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل
ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وماله الا عمامة فردة
تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث
احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤى غيرها وما نحن بتاويل

الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة
فيقولوا ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة
الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام
بنحارير وقرئ وادّكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذّكر بالذال اى
تذكّر الذى نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد امة
بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملا
تاويلها تذكر الناجى يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه
اليه ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلى بعد امة بكسر الهمزة
والامة النعمة قال عدى ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم
هناك القبور اى بعدما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بعد نسيان
يقال امه يأمه امها اذا نسى ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم
بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن انا آتيكم بتاويله
فارسلون فابعثون اليه لاسأله ومروني باستعباره وعن ابن عباس
رضى الله عنه لم يكن السجن في المدينة المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه
فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق
احواله وتعرف صدقه في رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك
كلمه كلام محترز فقال لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس
على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا
ومعنى لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك
لعلهم يعلمون

من محتمل تزرعون خبر في معنى الامر لقوله تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به
فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه
في سنبله دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال
من المامورين اى دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر
حالا بمعنى ذوي دأب فذروه في سنبله لئلا يتسوس وياكلن من الاسناد
المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن او من الغيث فقال ويخبأون
يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت
ومنه قول الاعرابية غثنا ما شينا يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب
والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء
للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل
بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله
ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة
وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما
ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تاول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن
يجئ مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده
الله علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت

كان

١٢٦

كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك
من جهة الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله
فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم
الا بالوحي انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر
براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح
امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في
السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب
ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب
اتقاء الوقوف في مواقفها قال النبي عليه السلام من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة
اتقاء للتهمة وعن النبي عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه
وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان
ولو كنت مكانه لما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه
حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن
ما لبث لاسرعتهم الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان
كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شأن النسوة ولم يقل سله
ان يفتش عن شأنهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث
عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة

القصة وفص الحديث حتى تبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق
من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن أدبه انه لم
يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر
على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه
كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه
وانه بريء مما قرف به او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن
عليه ما خطبكن ما شأنكن إذ راودتن يوسف هل وجدتن
منه ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه
عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز الآن حصحص
الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير
اذا القى ثفناته للاناخة وا فحصحص في صم الصفا ثفناته
وناء بسلمى نوأة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن
على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفته به لانهن خصومه واذا اعترف
الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة
والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته
ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز
اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او
المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني
ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب

السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده
وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله
حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون تأكيدا لامانته
وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله
ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال
رسول الله انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به
وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من
الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة
لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق
القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء
اراد الجنس اي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات
الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون
ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في
كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا
اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة
وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل
هو من كلام امرأة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه
ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت
عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته

وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الآن حصحص ولو ودعته السجن تريد
الاعتذار مما كان منها إن كل نفس لأمارة بالسوء إلا البعض التي رحمها
الله بالعصمة كنفس يوسف إن ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته
مما ارتكبت فإن قلت كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على
ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا إلى أن يجعل من كلامه ونحوه
قوله قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من
أرضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون
يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره
ذهب إلى أن ذلك ليعلم متصل بقوله فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن
أيديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا أن يوسف حين
قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل عليه السلام ولا حين
هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك
يا يوسف وذلك لتماديهم على بهت الله ورسله فقال أستخلصه وأستخصه
إذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب
قال إنك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن
على كل شيء روي أن الرسول جاءه فقال أجب الملك فخرج من السجن
ودعا لأهله اللهم اعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار
فهم أعلم الناس بالأخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل
البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء ثم اغتسل و

تنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فدخل على الملك وقال
اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بقدرتك وعزتك من شره ثم سلم
عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي
وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب
منه وقال أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك قال
رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف
السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك لا تخرم منها حرفا
وقال له من حقك أن تجمع الطعام في الأهراء فيأتيك الخلق من
النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك اجعلني
على خزائن الأرض ولني خزائن أرضك إني حفيظ عليم أمين
أحفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالأمانة
والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وإنما قال ذلك
ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن
مما لأجله يبعث الأنبياء إلى العباد ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم
مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا
وعن النبي صلى الله عليه رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني
على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة
فإن قلت كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر ويكون
تبعا له وتحت أمره وطاعته قلت روى مجاهد أنه قد أسلم

وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد
سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة
ويرونه واذا علم النبي والعالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع
الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل
كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى فكان
في حكم التابع له والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا
ليوسف في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين
يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه
منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته
وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع
له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما
السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي
ولا لباس آبائي فقال فقد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس
على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير
ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا
مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام
العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير
من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير
والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالد

بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا
والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت
صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد
الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم
وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا
بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب
مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين برحمتنا
بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من
اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين ان ناجرهم
في الدنيا ولاجر الآخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب
على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في
الدنيا وماله في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية لم يعرفوه
لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد
هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه
ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه
عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه
هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه
من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي
فرعون عليه لباس الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب

وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم أنه هو وقيل ما رأوه إلا من بعيد
بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا إلا حيث يقف طلاب الحوائج
وإنما عرفهم لأنه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم إذ ذاك
ولأن همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن
وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم أي أصلحهم
وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرون وأوقر ركائبهم
بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني
بأخ لكم من أبيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجترّ القول
هذه المسألة روي أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني
من أنتم وما شأنكم فإني أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة
أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة
بلادي قالوا معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق
نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني
عشر فهلك منا واحد قال فكم أنتم ها هنا قالوا عشرة قال فأين
الأخ الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به من الهالك قال فمن
يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأن الذي تقولون حق قالوا إنا ببلاد
لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني
بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا بينهم
فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده

وكا

وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم ولا تقربون فيه وجهان
أحدهما أن يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل
قوله فلا كيل لكم كأنه قيل وإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا
وأن يكون بمعنى النهي سنراود عنه أباه سنخادعه عنه
وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وإنا لفاعلون وإنا
لقادرون على ذلك لا نتعايا به أو وإنا لفاعلون ذلك لا محالة
لا نفرط فيه ولا نتوانى لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كإخوة
وإخوان في أخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة أي لغلمانه الكيالين
لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء
البدلين إذا انقلبوا إلى أهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون
لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا وكانت بضاعتهم
النعال والأدم وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع
ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته
ثمنا وقيل علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون إمساكها
فيرجعون لأجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها
منع منا الكيل يريدون قول يوسف فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم لأنهم
إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل
ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل أخونا فينضم
اكتياله إلى اكتيالنا أو يكن سببا للاكتيال فإن امتناعه بسببه

هل آمنكم نريد أنكم قلتم في يوسف وإنا له لحافظون كما تقولونه في أخيه
ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا
فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا
ولله دره فارسا ويجوز أن يكون حالا وقرئ حفظا وقرأ الأعمش فالله
خير حافظ وقرأ أبو هريرة رضي الله عنه خير الحافظين وهو أرحم
الراحمين فأرجو أن ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وقرئ
ردت إلينا بالكسر على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء كما في
قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها
إلى الضاد ما نبغي للنفي أي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك
من إحسان الملك وإكرامه وكانوا قالوا له إنا قدمنا على خير رجل
أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته
أو ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الإحسان أو على الاستفهام بمعنى
أي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه أي شيء تطلب وراء
هذا من الإحسان أو من الشاهد على صدقنا وقيل معناه
ما نريد منك بضاعة أخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت إلينا
جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة
عليها على معنى أن بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها ونمير
أهلنا في رجوعنا إلى الملك ونحفظ أخانا فما يصيبه شيء مما

اسمه ابن المستنير

نخافه ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائد على أوساق
أباعرنا فأي شيء نبغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها
أحوالنا ونوسع ذات أيدينا وإنما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا
أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط فإن قلت
هذا إذا فسرت البغي بالطلب فأما إذا فسرته بالكذب والتزيد
في القول كانت الجملة الأولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت
إلينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي
قلت أعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا
ونفعل كيت وكيت ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ كقولك
وينبغي أن نمير أهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت
في تحصيل غرضه ويجب أن أسعى وينبغي لي أن لا أقصر ويجوز أن
يراد ما نبغي وما ننطق إلا بالصواب فيما نشير به عليك من
تجهيزنا مع أخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا
ونفعل ونصنع بيانا لأنهم لا يبغون في رأيهم وأنهم مصيبون
فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير أي ذلك مكيل
قليل لا يكفينا يعنون به ما يكال لهم فأرادوا أن يزدادوا
إليه ما يكال لأخيهم أو يكون ذلك إشارة إلى كيل بعير أي
ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا إليه الملك ولا يضايقنا أو سهل
عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز أن يكون من كلام يعقوب

وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد لقوله
ذلك ليعلم لن أرسله معكم منافٍ لحالي وقد رأيت منكم ما رأيت
إرساله معكم حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما
أتوثق به من عند الله أراد أن يحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف
بالله موثقا منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد
أذن الله في ذلك فهو إذن منه لتأتنني به جواب اليمين لأن
المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به إلا أن يحاط بكم إلا أن تغلبوا فلم
تطيقوا الإتيان به أو إلا أن تهلكوا **فإن قلت** أخبرني
عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه إشكال **قلت** أن يحاط
بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي
معناه لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم أي لا تمتنعون منه
لعلة من العلل إلا لعلة واحدة وهي أن يحاط بكم فهو استثناء
أعم العام في المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي
وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الإثبات المتأول بمعنى
النفي قولهم أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت تريد ما أطلب
منك إلا الفعل على ما تقول من طلب الموثق وإعطائه وكيل
رقيب مطلع وإنما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد لأنهم كانوا
ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند
الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح

الأبصار إليهم من بين الوفود وأن يشار إليهم بالأصابع ويقال هؤلاء
أضياف الملك انظروا إليهم ما أحسنهم من فتيان وما أحقهم بالإكرام
لأمر ما أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف
لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم
في الصدور فيصيبهم ما يسوؤهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الأولى
لأنهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس **فإن قلت** هل
للإصابة بالعين وجه تصح عليه **قلت** يجوز أن يحدث
الله عز وجل عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصانا فيه وخللا
من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز
المحققون من أهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول
الحشوي هو أثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين
كفروا الآية وعن النبي عليه السلام أنه كان يعوذ الحسن
والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة
ومن كل عين لامة وما أغني عنكم من الله من شيء يعني إن أراد
الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق
وهو مصيبكم لا محالة إن الحكم إلا لله ثم قال ولما دخلوا من حيث أمرهم
أبوهم أي متفرقين ما كان يغني عنهم رأي يعقوب ودخولهم متفرقين
شيئا قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة
إليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله

وتضاعف المصيبة على أبيهم إلا حاجة استثناء منقطع على معنى
ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم وإظهارها
بما قاله لهم ووصاهم به وإنه لذو علم يعني قوله وما أغني عنكم
وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الحذر آوى إليه أخاه ضم إليه بنيامين
وروي أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم
وستجدون ذلك عندي فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين
منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي
يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فأجلسه
معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال أنتم عشرة فلينزل كل
اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه إليه
ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين
اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك فقال له أتحب أن أكون
أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك
يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال له
إني أنا أخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا
فيما مضى فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما
أعلمتك وعن ابن عباس رضي الله عنه تعرّف إليه وعن
وهب إنما قال له أنا أخوك بدل أخيك المفقود فلا تبتئس
بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد أمنتهم وروي أنه قال له

فأنا لا أفارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فإذا حبستك
ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما لا يجمل قال لا
أبالي فافعل ما بدا لك قال فإني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي
عليك بأنك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال
افعل السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان
يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت
الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت إناء مستطيلا تشبه
المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به
الأعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل
كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم أذن مؤذن
ثم نادى مناد يقال آذنه أعلمه وأذّن أكثر الإعلام ومنه المؤذن
لكثرة ذلك منه روي أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم أمر بهم
فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الإبل التي عليها الأحمال
لأنها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل
لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل كسقف وسقف فعل
به ما فعل ببيض وغيد والمراد أصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي
وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وجعل السقاية على حذف
جواب لما كأنه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في
رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن وقرأ أبو عبد الرحمن

السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع
وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم
يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد
وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب
مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم
من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا
وافواه رواحلهم معكومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل
السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين
وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا قالوا فما جزاؤه الضمير
للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم
البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من
وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة
فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق
نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك
حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون
جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام
المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما
تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع
الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم يقول هو اخوه مقيما للمظهر مقام

المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤول عنه
جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي
في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا
فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدأ باوعيتهم قبل فقال لهم من
وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ
بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه
فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله ما نتركه حتى تنظر
في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرأ
الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير رضي الله
عنه اعاء اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع
مرات ثم انثه قلت فالراجع بالتانيث على السقاية او
انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية
وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل بهم منه صواعا كذلك كدنا
مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به
اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له
لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان
يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي
ما كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات من نشاء
في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء و درجات

بالسوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او
وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا
فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اى وجه
حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب
لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين
قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان
قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف
وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم
كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا
على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه
لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله
الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها
الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا
ليتخلص من جلدها ولا يحنث ولقول ابراهيم هي اختي لتسلم من يد
الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع
في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح
عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها وكانت حسنة جميلة وانزاحت
عنها وجوه القبح لما ذكرنا اخ له ارادوا يوسف روي انهم لما استخرجوا
الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه

وقالوا

وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا
يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع
فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم
بأخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع
البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من
السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه
فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة
فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه
وقيل كانت في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل
وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها اكابر
ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده
فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت
لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها
فعمدت الى المنطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها
محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت
فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها اضمار على
شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله
انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام
كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا

والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا
بدل من أسرّها وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فأسرّه على
التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة
في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم
والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لأخي سرقة وليس الامر
كما تصفون استعطفوه باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه
شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم
وكانوا قد اخبروا بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه
مستأنس باخيه فخذ احدنا انا نراك من المحسنين الينا
فأتمم احسانك او من عادتك الاحسان فأجر على عادتك
ولا تغيّرها معاذ الله هو كلام موجّه ظاهره انه وجب على قضية
فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا
غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه
ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه
لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني
باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان
نأخذ نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ فأضيف المصدر الى المفعول
به وحذف من واذن جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا
بدله ظلمنا استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة

نحو ما مر في استعصم والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير
والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا
وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه
قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف
ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع
انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجيه ومعنى خلصوا
اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا
ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن
منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام
كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير
امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شأن اخيهم
كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم
في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل
كبيرهم العقل والرأي وهو يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان
تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا
عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر هو الرفع على الابتداء
وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف
او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل
الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون

موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اى قدمتموه فى حق يوسف
من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح
الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لى ابى فى الانصراف اليه
او يحكم الله لى بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخى او بخلاصه
من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا
الا بالعدل والحق وقرئ سُرِّق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه
بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج
من وعائه ولا شئ ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا
انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او وما علمنا انك تصاب به
كما اصبت بيوسف وقرئ سُرِّق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا
من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفى حافظين أسرق بالصحة
ام دس الصاع فى رحله ولم يشعر واسئل القرية التى كنا فيها هى مصر اى
ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة والعير التى اقبلنا فيها
واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام
وقيل من اهل صنعاء معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال
لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى
ذلك ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا بيوسف
واخيه وروبيل او غيره انه هو العليم بحالى فى الحزن والاسف الحكيم
الذى لم يبتلنى بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة

لما جاؤا به يا اسفى اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه
والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتى الاسف ويوسف
مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض
ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون من سبأ
بنبأ وعن النبى صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله
وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى
يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى
فان قيل كيف تأسف على يوسف دون اخيه ودون
الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت
هو دليل على تمادى اسفه على يوسف وانه لم يقع عنده موقعه
وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا وكم
تنسى اوفى المصيبات بعده ولان الرزء فى يوسف كان قاعدة
مصيباته التى ترتبت عليها الرزايا فى ولده فكان الاسف عليه
اسفا على من لحق به وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت
العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمى بصره وقيل
كان يدرك ادراكا ضعيفا من الحزن ومن الحزن لان الحزن كان
سبب البكاء الذى حدث منه البياض فكانه حدث عن الحزن
قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى
حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله

Marginal notes:
- الرجل او يوسف
- انتم تحسنون ح
- دون اخيه ودون الثالث
- ولكن نكأ القرح بالقرح اوجع
- اى ابطلته ومحقته

من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل ما بلغ
من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له
من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت
كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان
مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد
صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول
الله صلى الله عليه على ولده ابراهيم عليه السلام وقال القلب
يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم
لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح و
النياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل
يا رسول الله عليه السلام تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم
عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح
وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله عليه انه بكى على ولد او غيره
فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب
فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل
بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على
ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ باكظامه
تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان

اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا
ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر عن حبه كانه جعل الفتوء
والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس فما فتئت خيل تثوب
وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا على الهلاك مرضا
واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر
والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة
بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب
وغرب البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى
الناس اي ينشره ومنه باثه امره وابثه اياه ومعنى انما اشكو
اني لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا
اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله
والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب
قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني
وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب
اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفر لي فغفر له
فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي
انه اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم
مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين
فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع

ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون
اى اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظنى به انه يأتينى بالفرج
من حيث لا احتسب وروى انه رأى ملك الموت فى منامه فسأله
هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حى فاطلبه وقرأ
الحسن وجزع بفتحتين وحزنى بضمتين وقتادة فتحسسوا
من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرى بالجيم
كما قرى بهما فى الحجرات وهما تفعل عن الاحساس وهو المعرفة
فلما احس عيسى منهم الكفر ومن التجسس وهو الطلب ومنه
قالوا المشاعر الانسان الحواس والجواس من روح الله من فرجه
وتنفيسه وقرا الحسن وقتادة من روح الله بالضم اى من رحمته
التى يحيى بها العباد الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة
يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته
اذا دفعته وطردته والريح تزجى السحاب قيل كانت من
متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء
وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوف لا تؤخذ
الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذى هو حقنا وتصدق علينا
وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة
او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمهم صدقة لان
الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا عليه

تحل

وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا
اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان
يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك
ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزى المتصدقين شاهد لذلك
لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التى تبتغى بها المثوبة من الله
ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق على ان الله تعالى
لا يتصدق انما يتصدق الذى يبتغى الثواب قل اللهم اعطنى
او تفضل على او ارحمنى قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان
حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذى يجب
ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعنى هل علمتم
قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح
يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم فى الدين
لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه فى ذلك المقام
الذى يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ
المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطأها
واسجحها ولله حصى عقولهم ما ازرنها وارجحها وقيل لم يرد نفى
العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم
ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم

صبيانٌ في حدّ السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم
والرزانة روى انهم لمّا قالوا مسّنا واهلنا الضرّ وتضرعوا اليه
ارفضّت عيناه ثم قال هذا القول وقيل ادّوا اليه كتاب
يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله الى عزيز مصر امّا بعد فانّا اهل بيت موكّل بنا البلاء
امّا جدّي فشُدّت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق ليُقتل
ففداه الله وامّا ابي فكان لي ابن وكان احبّ اولادي اليّ فذهب
به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله
الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان
اخاه من امّه وكنت اتسلّى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا
انه سرق وانك حبسته لذلك وانّا اهل بيت لا نسرق ولا نلد
سارقا فان رددته عليّ والّا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من
ولدك والسلام فلما قرا يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال
لهم ذلك وروى انه لما قرا الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا
تظفر كما ظفروا فان قلت ما فعلهم باخيه قلت
تعريضهم اياه للغمّ والثكل بافراده عن اخيه لابيه وامّه وجفاؤهم
به حتى كان لا يستطيع ان يكلّم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم
له بانواع الاذى وقرى ائنك على الاستفهام وانّك على الايجاب وفي
قراءة ابيّ ائنك او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف

الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو
يكرّر الاستثبات فان قلت كيف عرفوه قلت راوا في
روائه وشمائله حين كلّمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان
ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم
لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسّم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت
كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن راسه فنظروا الى
علامة بقرنه كانت ليعقوب عليه السلام وسارة مثلها تشبه الشامة
البيضاء فان قلت قد سالوا عن نفسه فلم اجابهم عنها
وعن اخيه على انّ اخاه كان معلوما لهم قلت لانّ كان
في ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه من يتّق الله وعقابه ويصبر
عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم فوضع
المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين
لقد آثرك الله علينا اي فضّلك لقد علمنا بالتقوى والصبر وسيرة
المحسنين وان شاننا وحالنا انّا كنّا خاطئين متعمّدين
للاثم لم نتّق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزّك بالملك واذلّنا
بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم ولا عتب
واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش
ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد و
القرع لانه لما ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس

بعدِ فضرب مثلا للتفريع الذى يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه
فان قلت بم تعلق اليوم **قلت** بالتثريب او بالمقدر
فى عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم
الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدا
فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك
ويغفر الله لك على لفظ الماضى والمضارع جميعا ومنه قول المشمت
يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران
الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروى ان
رسول الله عليه السلام اخذ بعضادتى باب الكعبة يوم الفتح
فقال لقريش ما ترونى فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخى يوسف لا تثريب
عليكم اليوم وروى ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس
اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل
فقال رسول الله غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته
لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا
ونحن نستحيى منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل
مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الىّ بالعين الاولى
ويقولون سبحان من بلّغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ
ولقد شرفت الآن بكم وعظمت فى العيون حيث علم الناس

انكم اخوتى وانى من حفدة ابراهيم عليه السلام اذهبوا بقميصى
قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف
وكان من الجنة امره جبريل عليه السلام ان يرسله اليه فان
فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفى يأت بصيرا يصر بصيرا
كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يأت
الىّ وهو بصير وينصره قوله وأتونى باهلكم اجمعين اى يأتنى
ابى ويأتنى آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته
بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته
وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما
مسيرة ثمانين فرسخا فصلت العير خرجت من عريش
مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه
وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما فلما انفصل العير قال لولد
ولده ومن حوله من قومه انى لاجد ريح يوسف اوجده الله
ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان والتفنيد النسبة
الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ
مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن فى شبيبتها ذات رأى
فتفند فى كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى لفى
ضلالك القديم لفى ذهابك عن الصواب قدما فى افراط محبتك
ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه

قد مات ألقاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام
او القاه يعقوب عليه السلام فارتد فرجع بصيرا انقال ردّه فارتدّ و
ارتدّ اذا ارتجعه ألم أقل لكم يعني قوله انى لأجد ريح يوسف او قوله
ولا تيأسوا من روح الله وقوله إنى اعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه
القول ولك ان توقعه عليه وتريد قوله إنما أشكو بثّي وحزني الى
الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سأل البشير كيف
يوسف قال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته
قال على دين الاسلام قال الآن تمّت النعمة سوف أستغفر لكم ربي
قيل أخّر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرّى به
وقت الاجابة وقيل ليتعرّف حالهم في صدق التوبة واخلاصها
وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر
لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة
في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف
وقلّة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا الى اخيهم فأوحى اليه
ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم
الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح
اليك بالعفو فلا قرّت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة
قائما يدعو وقام يوسف عليه السلام خلفه يؤمّن وقاموا خلفهما
أذلّة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة

نزل جبريل عليه فقال ان الله تعالى قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد
مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم فلما دخلوا على
يوسف قيل وجّه يوسف عليه الى ابيه جهازا ومائتي راحلة
ليتجهّز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف
من الجند والعظماء واهل مصر بأجمعهم فتلقّوا يعقوب وهو يمشي
يتوكّأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهذا
فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك
يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لمّا التقيا يا ابت
بكيت عليّ حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى
ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل
ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل
وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف قوله ومقاتلتهم
اي عسكرهم وخيلهم وخمس وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى
الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه
ابويه ضمّهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحاق كانت امّه تحيا
وقيل هما ابوه وخالته ماتت امّه فتزوّجها وجعلها احد
الابوين لان الرابّة تدعى امّا لقيامها مقام الامّ اولان الخالة
امّ كما ان العمّ اب ومنه قوله وإله آبائك ابراهيم واسماعيل
واسحاق فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت

كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم دخلوا عليه وضم اليه
ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله ولما دخل مصر وجلس في
مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما
على السرير وخرّوا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا
ويجوز ان يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال
فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم
والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت
بم تعلقت المشيئة قلت بالدخول مكيفا بالامن لان القصد
الى اتصافهم بالامن في دخولهم فكأنه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم
ان شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء الله
فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة
مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام
ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير
ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير وان موضعها
ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول
فيه وفي نظائره فان قلت كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله
قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة
كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة
الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت

الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه
وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا فيه نبوة يقال
احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه قال اسيئي بنا او احسني
لا ملومة من البدو من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب
مواش يتنقلون في المياه والمناجع نزغ افسد بيننا واغرى واصله
من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا
نخسه لطيف لما يشاء لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه
الحكمة والصواب وروي ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في
خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن
الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس
قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على
ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط
اليه مني فسله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان
يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا
وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب
ابيه اسحاق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش
بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت
نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل
ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل
مصر

وتشاجروا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال
فرأوا من الرأي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه
في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا
واحدا وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى
ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل
تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وابائه الى ان بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم من في من الملك ومن تاويل الاحاديث للتبعيض
لانه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التاويل
انت وليي انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني
بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الاسلام ولان يختم
له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده فلا تموتن الا وانتم مسلمون
ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل والحقني بالصالحين من
ابائي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات
عنده فرآه كثير البكاء والمسئلة للموت فقال له صنع الله على يديك
خيرا كثيرا احييت سننا وامت بدعا وفي حياتك خير وراحة
للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه وجمع
له امره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين فان قلت
علام انتصب فاطر السموات قلت على انه وصف لقوله
رب كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء ذلك اشارة الى ما سبق

من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله ومحله الابتداء وقوله من
انباء الغيب نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما
موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته ونوحيه الخبر
والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي
لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم
اخاهم في البير لقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وهذا
تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين
انه لم يكن من حملة هذا الحديث واشباهه ولا لقي فيها
احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه
هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة
في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم
وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من
القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى
موسى الامر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل وما اكثر
الناس يريد العموم كقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن
ابن عباس اراد اهل مكة اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت و
تهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسألهم على
ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي
حملة الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله

للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله
من آية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده
يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها
وقرئ والارض بالرفع على الابتداء، ويمرون عليها خبره وقرأ
السدي والارض بالنصب على ويطؤون الارض يمرون عليها
وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد
ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن اكثرهم
في اقرارهم بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو
مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك
وايمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه غاشية
نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم
وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة
الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران
ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله ادعو الى الله على بصيرة اي ادعو
الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء وانا تأكيد للمستتر في ادعو
ومن اتبعني عطف عليه يريد ادعو اليها انا ويدعو اليها من اتبعني
ويجوز ان يكون انا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني
عطفا على انا اخبارا مبتدأ بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان
لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة

الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله وانزهه من الشركاء الا
رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن
ابن عباس رضي الله عنهما يريد ليست فيهم امرأة وقيل في سجاح
المتنبئة ولم تزل انبياء الله ذكرانا وقرئ نوحي اليهم بالنون من
اهل القرى لانهم اعلم واحلم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا للذين خافوا
الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا تعقلون بالتاء، والياء،
حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر وظنوا انهم قد
كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم
لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب
والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت
عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم
في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا
حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر
وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين
آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن
ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث
النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجح احد
الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال

مدني وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص والمفضل ويحيى وحماد بالتاء والباقون بالياء

رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف
الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل
قد كذبوا من جهة الرسل اى كذبتهم الرسل فى انهم ينصرون عليهم
ولم يصدقوهم فيه وقرى كذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبهم
قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرا مجاهد كذبوا
بالتخفيف على البنا للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا
فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تاويل ابن عباس واما
على ان قومهم لما لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا
فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل
قد كذبوا ولو قرى بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم
كذبوهم فى موعدهم قرى فننجى بالتخفيف والتشديد من انجاه
ونجاه وفنجى على لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرا ابن محيصن فنجا
والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم الذين يستاهلون ان يشاء
نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين
الضمير فى قصصهم للرسل وتنصره قراءة من قرا فى قصصهم بكسر القاف
وقيل هو راجع الى يوسف واخوته **فان قلت** فالام
يرجع الضمير فى ما كان حديثا يفترى فيمن قرا بالكسر **قلت**
الى القرآن لى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذى
بين يديه اى قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شى يحتاج اليه

فى الدين لانه القانون الذى يستند اليه السنة والاجماع و
القياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما انتصب بعد لكن للعطف
على خبر كان وقرى ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذى بين
يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف
فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه
سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها وهى خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اشارة الى ايات السورة والمراد بالكتاب السورة اى تلك الايات
ايات السورة الكاملة العجيبة فى بابها ثم قال والذى انزل اليك من
القرآن كله هو الحق الذى لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها
وفى اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة
لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة الله مبتدا والذى خبره بدليل
قوله وهو الذى مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر
الامر يفصل الايات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الايات
رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستانف استشهاد
برؤيتهم لها كذلك وقيل هى صفة لعمد ويعضده قراءة ابى ترونه
وقرى عمد بضمتين يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل
اياته فى كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر و
المفصل

لابدّ لكم من الرجوع اليه وقرا الحسن نُدَبِّرُ بالنون جعل فيها زوجين
اثنين خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدّها
ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوّعت وقيل اراد بالزوجين الاسود
والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك
من الاصناف المختلفة يُغشي الليلَ النهارَ يُلبسه مكانه فيصير
اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرئ يُغشّي بالتشديد وقطع
متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيّبة
الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع
لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية
وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك
الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس
والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال و
الالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف
وقطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف
على زوجين او بالجر على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا
على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان
واصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة
بني تميم وقيس تسقى بالتاء والياء ونفضّل بالنون وبالياء على البناء للفاعل
والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم

في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من
قدر على انشاء ما عدّد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن
كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة
من الاعاجيب أئذا كنا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل
الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل
عليه قوله ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم اولئك
الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصف
بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ونحوه لهم عن الرشد
اغلال وانباذ افوهوا من جملة الوعيد بالسيئة قبل الحسنة
بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سالوا
رسول الله ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت
من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا
بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين
العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها
ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال
القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين
والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات
بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات
جمع مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم

انفسهم بالذنوب ومحله الحال معنى الظالمين لانفسهم وفيه اوجه
ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر بشرط التوبة او يريد
بالمغفرة الستر والامهال وروى انها لما نزلت قال النبي عليه
لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احدا العيش ولولا وعيده
وعقابه لاتكل كل احد لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا
بالايات المنزلة على رسول الله عنادا فاقترحوا نحو آيات
موسى وعيسى من انقلاب عصا حية واحياء الموتى فقيل
لرسول الله انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء
العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان
بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية
كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى
بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي
آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل
قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين في آيات مخصوصة وجه
اخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات
ويعاندون فلا يحزنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر
لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر
عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله
ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء

ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وباية خص بها ولم تجعل الانبياء شرعا واحدا

على قضايا حكمته ان اعطاء كل منذر آيات خلاف آيات
غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم
في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما
على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه
هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا
سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستانفا
وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم
ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى فيما تحمل وما تغيض الارحام
وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة
فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة
وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير
ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه
الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه
قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده اي تاخذه زائدا تقول
اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى
وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه
الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل
على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع
اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما

ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة
اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابى حنيفه والى اربع عند
الشافعى والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد
لسنتين وهرم بن حيان بقى فى بطن امه اربع سنين
ولذلك سمى هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصلية
فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها
لا يخفى عليه شئ من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد
غيوض ما فى الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو
لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة
ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على
تسعة اشهر وعنه الغيض الذى يكون سقطا لغير تمام والازدياد
ما ولد لتمام بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله
انا كل شئ خلقناه بقدر الكبير العظيم الشان الذى كل شئ
دونه المتعال المستعلى على كل شئ بقدرته او الذى كبر عن
صفات المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب فى سربه
بالفتح اى فى طريقه ووجهه يقال سرب فى الارض سروبا
والمعنى سواء عند الله من استخفى اى طلب الخفاء فى مختبا
بالليل فى ظلمته ومن يضطرب فى الطرقات ظاهرا بالنهار
يبصره كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال

ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول
معنى الاستواء المستخفى والسارب والا فقد تناول واحدا
هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما
ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف
والثانى انه عطف على مستخف الا ان من فى معنى الاثنين
كقوله نكن مثل من يا ذيب يصطحبان كانه قيل سواء
منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير فى له
مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى
ومن سرب معقبات جماعات من الملايكة تعتقب فى
حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء فى
القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز
معقبات بكسر العين ولم يقرا به او هو مفعلات من
عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم
يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه
من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة
للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه
من اجل امر الله اى من اجل ان الله امرهم بحفظه
والدليل عليه قراءة على وابن عباس وزيد بن على وجعفر بن
محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من باس الله

ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله
رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار
من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من
قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب
او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في
التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى
يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال
ممن يلي امرهم يدفع عنهم خوفا وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا
لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف
المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا
ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه
خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين
اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق
يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب
وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر
والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر
كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به السحاب اسم
الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة

الجلاوزة جمع جلواز وهو الشرطي

ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونساء كرام وهي الثقال
بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعوا الرعد من العباد
الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد
لله وعن النبي عليه السلام انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده
وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد
الرعد قال رسول الله عليه السلام اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا
بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي
عليه السلام عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوقون بها السحاب وعن
الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة
الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر
بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته
واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر
والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته
ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا
آياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه
به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من
يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ
الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة

بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء
في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري وفد
على رسول الله حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى
الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل
على اربد صاعقة فقتله اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام
من حديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه
تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان
اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله
علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد
غزير الندى شديد المحال والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه
ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم
على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول
من ذئب اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار
ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه
احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة
والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر
وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوله دعوة الحق فيه وجهان
احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما

٦١

تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة
ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل عن الباطل والمعنى ان الله
سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله
ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا
بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع
ولا يجدي دعاؤه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز
وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن
الحسن رحمه الله الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق
فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله
قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة
محال من الله ومكر به من حيث لا يشعر وقد دعا رسول الله عليه
وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما
فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة
على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول
الله ان دعا عليهم فيهم والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم
الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم
الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي
كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ
فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته
اليه

ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد
لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم
وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد
ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشراً اصابعه فلم
تلق كفاه منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون
بالتاء كباسط كفيه بالتنوين الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة
فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الآلهة لم تستطع
اجابتهم ولله يسجد اي ينقادون لاحداث ما اراده فيهم
من افعاله شاؤا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه
وتنقاد له ظلالهم ايضاً حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد
والتقلص والفيء والزوال وقرئ بالغدو والايصال من
آصلوا اذا دخلوا في الاصيل قل الله حكاية لاعترافهم
وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض
لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله كقوله قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وهذا كما يقول
المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا
قولك فيحكي اقراره تقريراً له عليه واستيثاقاً منه ثم يقول له
فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقيناً
لانهم تعيوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان

ينكروه أفاتخذتم من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات
والارض اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان
يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون
لانفسهم نفعاً ولا ضراً لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها
او يدفعوا عنها ضرراً فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم
على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالكم
ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار وخلقوا صفة لشركاء
يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله
فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على
الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء
ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا
له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلاً
ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق
غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون
له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار
لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور هذا مثل ضربه الله
للحق واهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير
والظلمات والنور مثلاً لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي
ينزله من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم

انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه و
اتخاذ الاواني والآلات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي
فيه البأس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق
بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون
والبيار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز
وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة
اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل
الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب
فان قلت لم نكرت الاودية قلت لان المطر لا يأتي
الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض
دون بعض فان قلت فما معنى قوله بقدرها قلت
بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار
الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا
للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة
ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف فان قلت
فما فايدة قوله ابتغاء حلية او متاع قلت الفايدة
فيه كالفايدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع
في قوله واما ما ينفع الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الماء
والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب و

الحلية والمتاع وقوله ومما توقدون عليه في النار ابتغاء
حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار
الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك
كما جاء في ذكر الآجر فاوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء
الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه
زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفأه
السيل اي يرمي به وجفأت القدر بزبدها واجفأ السيل
واجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم
لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفار وقرئ يوقدون بالياء
اي يوقد الناس للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب
اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا و
للكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة
لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم
كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم
الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام
مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى
لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره
لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي
ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء دخلت همزة

الانكار على الفاء في قوله افمن يعلم الانكار ان تقع شبهة
بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم ان ما انزل اليك
من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي
لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز
انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضيات عقولهم
فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدا واولئك
لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك
لهم اللعنة ويجوز ان يكون اللعنة صفة لاولي الالباب
والاول وجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة
بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون
الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان
بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد
تعميم بعد تخصيص ما امر الله به ان يوصل من الارحام
والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله عليه وقرابة
المومنين الثابتة بسبب الايمان انما المومنون اخوة بالاحسان
اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم
والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام
عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة
حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق

منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض
ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من
اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم و
اعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة
فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم اي يخشون وعيده
كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل
ان يحاسبوا صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في
النفوس والاموال ومشاق التكليف ابتغاء وجه الله لا
ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل
ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله
وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا
لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله ما ان جزعت
ولا هلعت ولا يرد بكاي زيدا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى
المومن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق
به ثوابا وكان فعلا كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لان الحرام
لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية يتناول النوافل
لانها في السر افضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة
ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس رضي الله
عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم

وعن الحسن اذا حُرموا اَعطَوْا واذا ظُلموا عفَوْا واذا قُطعوا
وَصَلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا رَاَوْا منكرًا
اَمَروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد
الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها وجناتُ عدنٍ بدلٌ من
عقبى الدار وقرى فنِعْمَ بفتح النون والاصل نَعِمَ فمن كسر النون فلنقل
كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكّن العين ولم ينقل وقرى
يُدخَلونها على البناء للمفعول وقرا ابن ابي عَبْلة صَلَحَ بضم اللام
والفتح افصح اَعْلَمَ اَنّ الانسابَ لا تنفع اذا تجردت من
الاعمال الصالحة وآباؤهم جمع ابوَيْ كلِّ واحدٍ منهم فكانه قيل من
آبائهم وامّهاتهم سلامٌ عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلامٌ
عليكم او مُسلِّمين **فان قلت** بمَ تعلق قوله بما صبرتم
قلت بمحذوفٍ تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا
الثواب بسبب صبركم او بدلُ ما احتملتم من مشاقّ الصبر
ومتاعبه هذه الملاذُّ والنعمُ والمعنى لئن تَعِبتم في الدنيا لقد استرحتم
الساعة كقوله بما قدّمتم ... وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
كان ياتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها
الله يبسط الرزق اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون
غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسّعه عليهم وفرحوا

يجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار صح

بما بسط لهم من الدنيا فرحَ بطرٍ واَشَرٍ لا فرحَ سرورٍ بفضل
الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيمَ
الآخرة وخفي عليهم اَنّ نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة
ليس الّا شيئًا نزرًا يتمتّع به كعُجالة الراكب وهي ما يتعجّله
من تُميراتٍ او شَربةِ سويقٍ او نحو ذلك **فان قلت**
كيف طابق قولهم لولا انزل عليه آيةٌ من ربه قوله قل ان
الله يُضلّ من يشاء **قلت** هو كلام يجري مجرى التعجب
من قولهم وذلك اَنّ الآياتِ الباهرةَ المتكاثرةَ التي اوتيها
رسول الله لم يؤتها نبيٌّ قبله وكفى بالقرآن وحده آيةً وراءَ
كل آيةٍ فاذا جحدوها ولم يعتدّوا بها وجعلوه كانّ
آيةً لم تنزل عليه قطّ كان موضعًا للتعجب والاستنكار
فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشدّ تصميمكم على كفركم
انّ الله يُضلّ من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم
وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان اُنزلت
كلُّ آيةٍ ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اَنابَ
اَقبلَ الى الحقّ وحقيقته دخل في نوبة الخير والذين
آمنوا بدلٌ ممن اناب وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته
ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته لقوله
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئنّ بذكر دلائله

الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن
القلوب على تقدير حذف المضاف اى تطمئن القلوب قلوب الذين
آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك
اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك
وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة فى قوله وحسن مآب
بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام فى لكم للبيان مثلها
فى سقيا لك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن
وموسر وقرأ مكوزة الاعرابى طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء
كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال
ارسلناك يعنى ارسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات
ثم فسر كيف ارسله فقال فى امة قد خلت من قبلها امم اى
ارسلناك فى امة قد تقدمتها امم كثيرة فهى آخر الامم وانت خاتم
الانبياء لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب
العظيم الذى اوحينا اليك وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون
بالرحمن بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل شىء وما بهم
من نعمة فمنه فكفروا بنعمته فى ارسال مثلك اليهم وانزال هذا
القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربى الواحد المتعالى
عن الشركاء عليه توكلت فى نصرتى عليكم واليه متاب فيثيبنى
على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرآنا جوابه محذوف كما تقول

لغلامك لو انى قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت
به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت
به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع
وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية فى التذكير ونهاية فى
الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته
خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به
قوله لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحى الى
رسول الله من القرآن وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير
الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما
تنبهوا عليه لقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل
ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله عليه السلام سير بقرآنك الجبال عن مكة
حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود
ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود او سخر لنا
به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع فى يومنا فقد شق علينا
قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا به رجلين
او ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصى بن كلاب فنزلت
ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها وعن
الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت
به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت

القطائع جمع قطيعة بالكسر

وتثبت اليقين بها الدين آمنوا ... ويجوز ان يكون بدلا من القلوب

الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا على
معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شئ وهو قادر على الآيات
التى اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه
والثانى بل لله ان يلجيهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء
لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس
الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا يعنى مشيئة الالجاء والقسر
الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هى لغة قوم
من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه
لان اليائس عن الشئ عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء
فى معنى الخوف والنسيان فى معنى الترك لتضمن ذلك قال
سحيم بن وثيل الرياحى اقول لهم بالشعب اذ ييسروننى
الم تيأسوا انى ابن فارس زهدم ويدل عليه ان عليا
وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم
يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو
ناعس مستوى السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق فى كتاب الله
الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل
هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتى الامام وكان متقلبا فى ايدى
اولئك الاعلام المحتاطين فى دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون
عليه عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذى اليه

النخع قبيلة من اليمن ورهط ابراهيم النخعى

زهدم اسم فرس وفارسه

المرجع والقاعدة التى عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية
ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء بآمنوا على او لم يقنط عن ايمان هؤلاء
الكفرة الذين امنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
ولهداهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة
داهية تقرعهم بما يحل الله بهم فى كل وقت من صنوف
البلايا والمصائب فى نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة
قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها
وتتعدى اليهم شرورها حتى يأتى وعد الله وهو موتهم
او القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول
الله من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله كان
لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب
من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما
حل بالحديبية حتى يأتى وعد الله وهو فتح مكة وكان الله
قد وعده ذلك فامليت الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من
الزمان فى خفض وامن كالبهيمة يملى لها فى المرعى وهذا
وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء
به وتسلية له افمن هو قائم احتجاج عليهم فى اشراكهم بالله
يعنى افالله الذى هو قائم رقيب على كل نفس صالحة
او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس

كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا
وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو
الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء قل سموهم اي جعلتم
له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه
على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان
يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم
بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق
به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله
بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل
انسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة
كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها
منادٍ على نفسه بلسانٍ طلقٍ ذلقٍ انه ليس من كلام البشر لمن
عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين
وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم
وصدوا قرئ بالحركات الثلاث وقرا ابن ابي اسحق وصدٌ بالتنوين
ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هادٍ
فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا
وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا

لسان طلق ذلق وطليق ذليق وطُلُق ذُلُق وطُلُق ذُلُق لغات

عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من
واق وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم من رحمته واق
من رحمته مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه
بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا
عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار
كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة
تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب
عنا بما نشاهد وقرا علي رضي الله عنه امثال الجنة على الجمع
اي صفاتها اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة و
ظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين
آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام
وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا
اربعون بنجران واثنان وثلثون بارض الحبشة وثمانية بالشام هؤلاء
يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم
وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة نحو
كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران
واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص
وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف
وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله

الاسقف مثل النصارى ... السقف ... بين السقف

وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع **فان قلت**
كيف اتصل قوله قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله **قلت** هو
جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان
اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده
فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان
لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا وقرا نافع في رواية
ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف كانه قال وانا
لا اشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى امرت
ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى
غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك
فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال
انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه
والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة
بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول
الله الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما
حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو الا اهوا
وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة
خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك ولا ينقذك منه واق

بعد ما جاءك من العلم

وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين
على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال
عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله
من شدة الشكيمة بمكان كانوا يعيبونه بالزواج و
الولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام
وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فقيل
كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية
وما كان لهم ان ياتوا باايات برايهم ولا ياتون بما
يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال
والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم
على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشا ينسخ ما
يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته
او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما
ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل
ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة
ويثبت ايمانهم وطاعتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت
بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار
وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده
ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل

كائن مكتوب فيه وقرئ ونثبت وإما نرينك وكيف ما دارت
الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب
عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة
فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم
فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا نأتي
الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتح على
المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار
الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون
انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم
آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم
بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر
ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها
ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر
وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه و
المعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه
اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب
لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد
طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام
بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع

الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا
فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت
هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا
حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد
حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل
مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر
ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار
لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله
لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم
وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله و
المراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من
اعلمه اي سيخبر كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على
رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن
وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل
هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم
يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب
اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى
كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح
الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده

علم الكتاب على من الحارّة وعُلِم على البناء للمفعول وقرئ ومن
عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع علم الكتاب
قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلةً يرتفع العلم
بالمقدّر في الظرف فيكون فاعلاً لان الظرف اذا وقع صلة
اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فيعمل عمل الفعل
كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاعل كما تقول بالذي
استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلةً
يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الرعد أُعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل
سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبُعث يوم
القيامة من المُوفين بعهد الله سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليَخرج الناس والظلمات
والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله
وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب
وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز
الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين
استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف
كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله

الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام
لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم
في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوأل وهو
النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلاً
له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات
فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من
ظلمات الكفر الى نور الايمان توعّد الكافرين بالويل فان قلت
ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت
لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه
ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبوراً الذين يستحبون
مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجروراً صفة
للكافرين ومنصوباً على الذم او مرفوعاً على اعني الذين يستحبون
او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار
وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب
من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر
وقرأ الحسن ويُصِدّون بضم الياء وكسر الصاد يقال صدّه عن
كذا واصدّه قال أناس اصدّوا الناس بالسيف عنهم
والهمزة فيه داخلة على صدّ صدوداً لتنقله من غير التعدي
الى التعدي واما صدّه فموضوع على التعدية كمنعه وليس

بفصيحة كما وقفه لان الفصحاء استغنوا بصدّه ووقفه
عن تكلّف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل
الله زيغا واعوجاجا وان يدلّوا الناس على انها سبيل ناكبة
عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها عوجا فحذف الجار
واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلّوا عن طريق الحق
ووقعوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال
بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة
للضال لانه هو الذي يتباعد من الطريق فوصف به فعله
كما تقول جدّ جدّه ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد
لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا
بلسان قومه ليبين لهم الا ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه
فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال
ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصّلت اياته فان قلت
لم يبعث رسول الله صلى الله عليه الى العرب وحدهم وانما بعث
الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب
حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية
لم تكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل
بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة

لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان
واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه
فاذا فهموا عنه وتبيّنوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم
ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل
امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد
المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال
المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتفهم
معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر
في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات
المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل
واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين
كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز
في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته
التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء
ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن
واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن بضم
اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد
وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه
ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها

كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم
العرب فيؤدي الى ان الله انزل التورية من السما بالعربية ليبين
للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشا ويهدي من يشا
كقوله فمنكم كافر ومنكم مومن لان الله لا يضل الا من يعلم انه
لن يومن ولا يهدي الا من يعلم انه يومن والمراد بالاضلال
التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان
ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم
فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج
بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه
وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان
توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تاويل
المصدر وهو الفعل والامر وغيره سوا في الفعلية والدليل على
جواز ان تكون ان الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل
فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم
بايام الله وانذرهم بوقايعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح
وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار
ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس
نعماوه وبلاوه فاما نعماوه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن
والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاوه فاهلاك القرون لكل صبار

شكور يصبر على بلا الله ويشكر نعماوه فاذا سمع بما انزل الله
من البلا على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما
يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد
لكل مومن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم
اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم
ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم
قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام
او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة
لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله
مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين
انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم
يكن كلاما حتى تقول فايضة او نحوها والا كان
كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا
وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت
في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا
ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان
التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب
وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على
جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس اخر

فان قلت كيف كان فعل ال فرعون بلاء من ربهم قلت
تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه اخر
وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون
ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ
تاذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه
للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى
لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم
ومعنى تاذن ربكم اذن ربكم ونظير تاذن واذن توعد واوعد
وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في
افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك
وتنزاح الشبه والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم
او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة
ابن مسعود واذ قال ربك لئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني
اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان
الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن
لكم ما اتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم
ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم
يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها

الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم
حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده
الحامدون والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا
وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على
قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة
بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان
واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود
اذا قرأ هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون
علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا
ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل
كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء
كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم
الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به
اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من
التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا
انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي او وضعوها على
افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او
ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها
على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي

جمع يد وهي النعمة بمعنى الأيادي اي ردّوا نعم الانبيآء التي هي اجلّ النعم من مواعظهم ونصايحهم وما أوحي اليهم من الشرايع والأحكام في افواههم لانهم اذا كذّبوها ولم يقبلوها فكانهم ردّوها في افواههم ورجعوها الى حيث جآئت منهم على طريق المثل مما تدعوننا اليه من الايمان بالله وقرى تدعونّا بادغام النون مريبٍ موقع في الريبة اوذي ريبة من أرابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الأمر أفي الله شكّ أُدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشكّ لظهور الادلّة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال دعوت لما نابني مسوّرا فلبّى فلبّي يدي مسوّر وان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جآء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتّقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلّكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقرآء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولان لا يسوّى بين الفريقين في الميعاد وقيل انّه اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد

في نبيك ياصله فلبّى مسوّرا ان المعنى دعوته

من المظالم وغيرها ويؤخركم الى اجل مسمّى الى وقت قد سمّاه وبيّن مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصّون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملئكة بسلطان مبين بحجة بيّنة وقد جاتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آيةً قد اقترحوها تعنّتاً ولجاجاً إن نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فامّا ما ورآء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعاً منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمنّ على من يشآء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصّهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصايص فيهم قد استأثروا بها على ابنآء جنسهم الّا باذن الله ارادوا انّ الاتيان بالآية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشيّة الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافّة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصداً اوّليّاً وأمروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الّا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه

وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه
في الدين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت
الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت
المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على
ما تقدم لنخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة
اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك فان قلت
كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله
ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة
فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت
اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل
رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد
لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء
الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ ابو حيوة ليهلكن
وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه
قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض
الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم
وديارهم وعن النبي صلى الله عليه من آذى جاره ورثه الله داره
ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية

التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته
فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في
دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول
الله صلى الله عليه وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة
الى ما قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين
ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي وهو موقف الحساب
لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة او على اقحام
المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك
حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا واستنصروا
الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا
الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم و
قرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم
ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل
جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار
عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم
بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم
ولم يفلح باستفتاحه من ورائه من بين يديه قال
عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

ارصد له اعدله

وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مُرْصَدٌ لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف

ويسقى عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت

فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد

قلت صديد عطف بيان للماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بيّنه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار

يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف يكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان كان اسباب الموت واصنافه كلها قد تألّبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يرجع الضمير الى الجبار

واستفتحوا واستفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه

خيّب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل واممهم مثل الذين كفروا بربهم

مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما نقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم او هذه الجملة خبر للمبتدأ اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم كرماد والخبر

اشتدت به الريح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكون لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيّرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد

المطيّرة في الريح عاصف ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بُعْدِ ضلالهم
عن طريق الحق او عن الثواب بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر
العظيم ولم يخلقها عبثًا ولا شهوةً وقرئ خالق السموات والارض
ان يشأ يذهبكم اي هو قادر على ان يُعدِمَ الناس ويخلق مكانهم
خلقًا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم إعلامًا منه باقتداره على
إعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضدّه
وما ذلك على الله بعزيز بمتعذرٍ بل هو هيّنٌ عليه يسيرٌ لانه قادر
الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي
الى شيء وانتفى الصارف تكوّن من غير توقّف كتحريكك اصبعك
اذا دعاك اليه داعٍ ولم يعترض دونه صارفٌ وهذا بيانٌ
بيان لإبعادهم في الضلال وعظم خطائهم في الكفر بالله لوضوح
آياته الشاهدة له الدالّة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه
هو الحقيق بان يُعبَدَ ويُخاف عقابه ويُرجى ثوابه في دار الجزاء
وبرزوا لله ويبرزون يوم القيامة وانما جيء به بلفظ الماضي لانّ
ما اخبر به عزّ وجلّ لصدقه كانّه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب
الجنة ونادى اصحاب النار ونظائرهما ومعنى بروزهم لله والله
تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من
العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنّون ان ذلك خافٍ
على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله

لا يخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه
فان قلت لم كتب الضعفؤا بواوٍ قبل الهمزة قلت
كتب على لفظ من يفخّم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا
بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا
سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدّوهم
عن الاستماع الى الانبياء واتّباعهم تبعًا تابعين جمع
تابع كقولهم خادم وخدم وغايب وغيب او ذوي
تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعًا فان قلت اي فرق
بين من في من عذاب الله ومن في من شيء قلت
الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم
مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان
تكونا للتبعيض معًا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو
بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله فان قلت
فما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم قلت الذي قال
لهم الضعفاء كان توبيخًا لهم وعتابًا على استتباعهم واستغوائهم
وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم
قد علموا انهم لا يقدرون على الإغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما
كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم
يضلّوهم إمّا مورّكين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله

وأتباعهم

التبكيت التعيير واللوم

كما حكى الله عنهم رد قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شي يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا
يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم
يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم
على شي ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف
بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو
هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنينا
عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل
الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع
والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء
عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون
خمسمائة عام ولا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون
كذلك ثم يقولون سواء علينا **فان قلت** كيف اتصل
قوله سواء علينا بما قبله **قلت** اتصاله به من حيث
ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب
الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع
والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من
ذلك اطم او لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم
واخبرناكم

انه لا نجاة لهم قالوا ما لنا من محيص اي منجى
ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء
والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والمحيص يكون مصدرا كالمغيب
والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض
بمعنى واحد لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب
وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الآخر النار
روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من
الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو
البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك
فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط
وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها الا ان دعوتكم
الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من
جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فلا تلوموني
ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم
تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي
يختار الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا
التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما
[illegible] فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر

[illegible] انه في النظام كالحنا ... قول الشيطان
بين الحزبين وما تفصيلان لما اجمله قوله وبرزوا
... هدانا الله لهديناكم فلما دل قول الشيطان على ظاهر
... ان قول المستكبرين مخالف لمذهبه قال
يقول بما يوافق مذهبه ... اهل السنة ط

واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق
به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه
واظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام
الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم
كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم
من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم
وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه
والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر اليا وهي ضعيفة واستشهدوا
لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت
بالمرضي وكانه قدر يا الاضافة ساكنة وقبلها يا ساكنة
فحركها بالكسر لما عليه اصل التقا الساكنين ولكنه غير صحيح
لان يا الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف
في نحو عصاي فما بالها وقبلها يا فان قلت جرت
الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها يا وقعت
ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت
هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو
بمنزلة الخبر المتواتر تتضائل اليه القياسات ما في بما اشركتمو
مصدرية ومن قبل متعلق باشركتمو يعني كفرت اليوم باشراككم

اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون
بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله
انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل
يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود
لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا
فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا
ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم
الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة
الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله ان
الظالمين قول الله عز وجل ويحتمل ان يكون من جملة
قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في
ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم
والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا
في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول
فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني
بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمة الله ورضوانه عليهما
وادخل الذين امنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا
دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم

متعلق بادخل اى ادخلهم الملئكة الجنة باذن الله وامره
فان قلت فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم
انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة
ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اى تحيتهم فيها سلام
باذن ربهم يعني ان الملئكة يحيونهم باذن ربهم وقرئ الم
تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف ضرب الله مثلا
اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اى جعل كلمة
طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك
شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب
مثلا وكلمة بضرب اى ضرب كلمة طيبة مثلا يعني جعلها
مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي
كشجرة طيبة اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه
فيها وفرعها واعلاها ورأسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها
على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ انس بن مالك كشجرة طيبة
ثابت اصلها فان قلت اى فرق بين القراءتين قلت
قراءة الجماعة اقوى معنى لان في قراءة انس اجريت الصفة على
الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى
من مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب
لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة

حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن
عباس شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة
الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن
ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه قال ذات يوم
ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس
في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول
الله ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت
فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال
رسول الله صلى الله عليه الا انها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة
وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقوله
في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل حين
تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها
وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام
وتذكير وتصوير للمعاني كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اى
صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة
والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة
فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك
وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها ثابت
ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة

كلها ما لها من قرار اى استقرار يقال قر الشئ قرارا كقولك ثبت
ثباتا شبّه بها القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت
والذى لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل
لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول فى كلمة خبيثة فقال
ما اعلم لها فى الارض مستقرا ولا فى السماء مصعدا الا ان تلزم
عنق صاحبها حتى يوافى بها القيامة القول الثابت الذى ثبت
بالحجة والبرهان فى قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمانت
اليه نفسه وتثبيتهم به فى الدنيا انهم اذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا
كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير
ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون
وغيرهما وتثبيتهم فى الاخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن
معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل
معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم
يعاد روحه فى جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان
له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى
محمد فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا
بحجة فى دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون

اباءهم فقالوا انا وجدنا اباءنا على امة واضلالهم فى الدنيا انهم
لا يثبتون فى مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شئ وهم فى الاخرة
اضل وازل ويفعل الله ما يشاء اى ما توجبه الحكمة لان مشية
الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتاييدهم وعصمتهم
عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم
والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم بدلوا نعمة الله اى
شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا
مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى شكر رزقكم حيث وضعتم
التكذيب موضعه ووجه اخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة
كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبى النعمة
موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم
الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه
فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم
الله بالنعمة فى الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا
نعمة الله فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل
النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت
عنهم النعمة وبقى الكفر طوقا فى اعناقهم وعن عمر رضى الله عنه
هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو

المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا حتى
حين وقبلهم منتصرة العرب جبلة بن الأيهم وأصحابه
فأحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر ۝ دار البوار دار
الهلاك ۝ وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان ۝ قرئ
ليضلوا بفتح الياء وضمها فإن قلت الضلال والإضلال لم يكن
غرضهم في اتخاذ الأنداد فما معنى اللام قلت لما كان
الضلال والإضلال نتيجة اتخاذ الأنداد كما كان الإكرام
في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وإن
لم يكن غرضًا على طريق التشبيه والتقريب ۝ تمتعوا
إيذان بأنهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون
غيره ولا يريدونه مأمورون به قد أمرهم آمر مطاع لا يسعهم
أن يخالفوه ولا يملكون لأنفسهم أمرًا دونه وهو آمر الشهوة
والمعنى إن دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لأمر الشهوة
فإن مصيركم إلى النار ويجوز أن يراد الخذلان والتخلية
ونحوه قل تمتع بكفرك قليلًا إنك من أصحاب النار المقول
محذوف لأن جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين
آمنوا أقيموا الصلوة وأنفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا ويجوز
أن يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو
المقول قالوا وإنما جاز حذف اللام لأن الأمر الذي هو قل

عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم
يجز فإن قلت علام انتصب سرًا وعلانية قلت
على الحال أي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين أو على
المصدر أي إنفاق سر وإنفاق علانية والمعنى إخفاء
المتطوع به من الصدقات والإعلان بالواجب والخلال
المخالة فإن قلت كيف طابق الأمر بالإنفاق وصف
اليوم بأنه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل أن النا س
يخرجون أموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلًا
لما أخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الأصدقاء ليستجروا
بهداياهم أمثالها أو خيرًا منها وأما الإنفاق لوجه الله خالصًا
كقوله وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه
الأعلى فلا يفعله إلا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا
بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال أي لا انتفاع فيه بمبايعة
ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه أموالهم من المعاوضات
والمكارمات وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله وقرئ
لا بيع فيه ولا خلال بالرفع ۝ الله مبتدأ والذي خلق خبره
من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقًا هو ثمرات
ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج ورزقًا حالًا
من المفعول أو نصبًا على المصدر من أخرج لأنه في معنى رزق

أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية

دائبين يعملان في عملهما

الظلمات

بقوله كن دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما
واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات
وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم
وآتيكم من كل ما سالتموه من للتبعيض اى آتاكم بعض جميع
ما سالتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سالتموه
نفي ومحله النصب على الحال اى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه
ويجوز ان تكون ما موصولة على وآتيكم من كل ذلك ما احتجتم
اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سالتموه
او طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا
عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال
واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله لظلوم كفار
يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل
ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان
للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من توجد منه
هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ ظالم
واجاب فيه دعوة خليله ابرهيم آمنا ذا امن
اى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل
هذا البلد آمنا قد سال في الاول ان يجعله من
جملة البلاد التي يامن اهلها ولا يخافون ... ان يخرجه

من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه
قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ واجنبني
وفيه لغات ثلاث جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون
جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى
ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه
من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام
فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما نصبت حجارة
لكل قوم فقالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة
البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب
ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت انهن اضللن
كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك
وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن
اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اى افتتنوا بها واغتروا
بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي
فانه مني اى هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي
وكذلك قوله من غشنا فليس منا اى ليس بعض المؤمنين
على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك
غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصيانه اذا بدا له فيه

واجنبه

كانت

واستجيبت الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما
دون الشرك من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه
بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شي من زرع قط
كقوله قرانا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه
الا الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض
له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا
عزيزا يهابه كل جبار كالشي المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه
محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع
منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلوة
اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم هذا الوادي الخلاء البلقع من
كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه
بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين
بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم
متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع
والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك
افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه
ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم
وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك والهند
ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه

قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل
لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن
عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم آدر
في ادؤر والثاني ان يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت
اي جماعة او جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة
وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه
ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد تهوي اليهم
تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا ومن قوله يهوي
مخارمها هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البنا للمفعول
من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوي يهوى
اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات
مع سكناهم واديا ما فيه شي منها بان تجلب اليهم من البلاد
لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة
في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله
عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات
كل شي رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه
على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد
من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد
غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان

من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته
بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف
بالدخول تحت دعوة ابراهيم ورزقنا طرفاً من سلامة ذلك القلب
السليم النداء المكرر دليل التضرع واللجأ الى الله انك تعلم ما نخفي
وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علماً لا تفاوت فيه لان غيباً
من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا
ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة
الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهاراً للعبودية لك وتخشعاً
لعظمتك وتذللاً لعزتك وافتقاراً الى ما عندك واستعجالاً لنيل
اياديك وولهاً الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده
رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن
بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره
فقال مثلك لا يذكر استقصاراً ولا توهماً للغفلة عن حوائج السائلين
ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من
كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين
قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت الله امرك
بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله
من شيء من كلام الله عز وجل تصديقاً لابرهيم عليه السلام كقوله وكذلك
يفعلون او من كلام ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء

في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما على في
قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما ترين من كبري اعلم
من حيث تؤكل الكتف وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا
كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة
وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له
اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير
لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر
لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع اليأس
من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من اجل النعم واحلاها
في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم
ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب
لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله تعالى
يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك
كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث
ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن فان قلت ما هذه
الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة الصفة الى
مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلاً في جملة ابنية
المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيداً وضراب
اخاه ومنحار ابله وحذر اموراً ورحيم اباه ويجوز ان يكون

من اضافة فعيل الى فاعله وتجعل دعاء الله سميعا على الاسناد
المجازى والمراد سماع الله ومن ذريتى وبعض ذريتى عطفا
على المنصوب فى اجعلنى وانما بعّض لانه علم باعلام الله انه
يكون فى ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدى الظالمين ص
وتقبل دعاء اى عبادتى واعتزلكم وما تدعون من دون الله
فى قراءة ابىّ ولابوىّ وقرأ سعيد بن جبير ولوالدى على الافراد يعنى
اباه وقرأ الحسن بن على ولولدىّ يعنى اسمعيل واسحق وقرئ
ولِوُلدى بضم الواو والوُلد بمعنى الولد كالعُدم والعدم وقيل جمع
وَلَد كاسْد فى اسَد وفى بعض المصاحف ولذريتى فان
قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين
قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا
بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام
ويأباه قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط
الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى
الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم يوم يقوم
الحساب اى يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل
والدليل عليه قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت
الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على رجل
وكون ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون

مثل واسأل القرية وعن مجاهد فقد استجاب الله له فيما
سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد
آمنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل فى ذريته من يقيم
الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس
انه قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا
انى اسكنت الاية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم
فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه
رسول الله وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله
غافلا قلت ان كان خطابا لرسول الله ففيه وجهان
احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله
ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء فى الامر
يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثانى ان المراد بالنهى عن
حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه
منه شىء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد و
التهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان
يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن
معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان
خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته
فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم

فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه
نؤخرهم بالنون واليا، تشخص فيه الابصار اى ابصارهم لا تقر
في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل
الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف
مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا
بعيونهم اى لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك
للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم الهوآء
الخلاء الذى لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هوآء
اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراة ويقال للاحمق ايضا قلبه
هوآء قال زهير من الظلمان جؤجؤه هوآء لان النعام مثل
في الجبن والحمق وقال حسان فانت مجوف نخب هوآء وعن ابن
جريج افيدتهم هوآء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة
جوف لا عقول لهم يوم ياتيهم العذاب مفعول ثان لانذر
وهو يوم القيامه ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا
وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا
فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم
هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات
ولقاء الملايكه بلا بشرى وانهم يسالون يوميذ ان يؤخرهم
ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق

اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا
ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان
يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا ما لكم جواب
القسم وانما جا بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا
من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء
وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعنى كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه
قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون
الذى هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغني فيها واقام فيها
ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل
تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اى قروا فيها واطمانوا
طيبي النفوس سايرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها
بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا
وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرى
ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اى صفات ما فعلوا وما فعل بهم
وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اى مكرهم
العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو اما
ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم
فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى

وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث
لا يشعرون ولا يحتسبون وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال وإن عظم
مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلاً لتفاقمه وشدته
أي وإن كان مكرهم مسوّى لإزالة الجبال معدّاً لذلك وقد
جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع
إيمانكم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل
لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتاً وتمكناً
وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لَتزول بلام الابتداء
على وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع
عن أماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وإن كاد مكرهم
مخلف وعده رسله يعني قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي
فإن قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول
الثاني على الأول قلت قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد
أصلاً كقوله إن الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا
لم يخلف وعده أحداً وليس من شأنه إخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله
الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل
ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل أولادهم شركائهم
عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لأوليائه من أعدائه
يوم تبدل الأرض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم أو على الظرف

للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى
غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون
في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلوداً غيرها
وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الأوصاف كقولك بدلت الحلقة
خاتماً إذا أذبتها وسويتها خاتماً فنقلتها من شكل إلى شكل ومنه
قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل
الأرض والسموات فقيل تبدل أوصافها فتسير عن الأرض جبالها
وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت وعن ابن عباس
هي تلك الأرض وإنما تغير وأنشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها
وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبواباً وقيل
تخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود وأنس يحشر
الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي رضي الله عنه
تبدل أرضاً من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك أرضاً من فضة
بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الأرض بالنون فإن قلت
كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار لأن الملك إذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا
مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار كان الأمر في غاية الصعوبة
والشدة مقرنين قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت

ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين
اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين
مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن
جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق
القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف
وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ
فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وقد تبلغ حرارته الجوف
ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو
اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود
طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران
وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن
الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين
وكل ما وعده الله او اوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد
من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي
والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق
فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطرٍ آنٍ والقطر النحاس او
الصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار
كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على
وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب

في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى
تتغشى ليجزي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما
كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين
لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس
كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن
الى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا
ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا
علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما
انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان
الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ
سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام
وعدد من لم يعبد سورة الحجر سبعون وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن
المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب
الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع
للكمال والغرابة في البيان قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربتما
بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع
وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار

الله عز وجل بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكانه قيل ربما
ودّ فان قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت
او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا
رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة
فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب
العرب فى قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على
ما فعلت ولا يشكون فى تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا
لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل
هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون
كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك
المعنى فى الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحرى ان
يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه فى كل ساعة ولو كانوا مسلمين
حكاية ودادتهم وانما جئ بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك
حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين
لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين
فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا
فلذلك قلل ذرهم يعنى اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهى
عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا
بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار

آخرة

واستقامة الاحوال وان لا يلقوا فى العاقبة الا خيرا فسوف
يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم
لا يجئ منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون
به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر
رسوله صلى الله عليه وسلم بان يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان
يبالغ فى تخليتهم وشأنهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما فى
العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة فى الانذار واعذار فيه وفيه
تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدى اليه طول الامل
وهذه هجيرى اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن
بعضهم التمرغ فى الدنيا من اخلاق الهالكين ولها كتاب جملة
واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما فى قوله
تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد
لصوق الصفة بالموصوف كما يقال فى الحال جاءنى زيد عليه
ثوب وجاءنى وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو
اجلها الذى كتب فى اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة
اجلها فى موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على
اللفظ والمعنى وقال يستأخرون بحذف عنه لانه معلوم قرأ الاعمش
يا ايها الذى القى عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء
كما قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون

بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء
والتهكم مذهب واسع وقد جا في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم
بعذاب [اليم] انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى
انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر
لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشي لوجود غيره ومعنى التحضيض
واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل
لوما الحيا ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري
والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على
انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا
تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما
كانت تاتي الامم المكذبة برسلها وقرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل
على البنا للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة
الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان
تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى
الله عليه لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق
الوحي والعذاب واذن جواب وجزا لانه جواب لهم وجزا
لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر
عذابهم انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم

١٩٢

يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل
على القطع والثبات وانه هو الذي بعث به جبريل الى محمد ومن بين يديه
ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو
حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل
بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها
الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف
ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله
انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به
قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه
منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق
عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل
الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه كقوله والله يعصمك في
شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا
على مذهب وطريقة ومعنى ارسلنا فيهم نباناه فيهم وجعلناه
رسولا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل
على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب
من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته
فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك
ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم

سلكنا مستهزأ به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك
اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها
بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على
الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه سنة
الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا الرسل
وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم قرئ
يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار
من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما
يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما
يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في
العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج
يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء
نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير
للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك
وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون
وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا
للابصار من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن
عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا
من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها

شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة
وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن
وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو
الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش
بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوها فان تصريح
الياء فيها خطا والصواب الهمز او اخراج الياء بين بين
وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين
عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها
معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم معايش
ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين
يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم
واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة
مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان
يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف
على الضمير المجرور ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع
به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام
به وما ننزله الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن
مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح
اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير

ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح
الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرى وارسلنا الريح على تأويل
الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين
نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه
كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه
في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته
واظهارا لعجزهم وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله
وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه
ومنه قوله صلى الله عليه في دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا
المستقدمين منكم من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والآخرين او من
خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام
وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل المستقدمين في صفوف
الجماعة والمستاخرين وروي ان امراة حسناء كانت في المصليات
خلف رسول الله فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض
يستاخر ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم اي هو وحده القادر على حشرهم
والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه
حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل شيء على مقتضى الحكمة
والصواب وقد احاط علما بكل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال الطين اليابس
الذي يصلصل وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت

في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة
وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حما الطين الاسود المتغير
مسنون والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي
افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها
وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل
بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حما صفة لصلصال اي خلقه
من صلصال كائن من حما وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة
لصلصال كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى
اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان ابا الجن كادم
للناس وقيل هو ابليس وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجأن
بالهمزة خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل
هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله
منها الجان واذ قال ربك للملائكة واذكر وقت قوله اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته عدلت خلقته
واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي
وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى
فيه فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس واستثنى ابليس من الملئكة لانه كان بينهم ماموراً معهم بالسجود
فغلب اسم الملئكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رايتهم الا هندا
او لان الاستثناء على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر
عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك اي حرف الجر مع ان مجذوف اي اي غرض لك

في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اى غرض لك في اباءتك السجود واى
داعٍ لك اليه اللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي
حالي ويستحيل ان اسجد لبشر رجيم شيطان من الذين يرجمون
بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه
ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير
في منها راجع الى الجنة او السما او الى جملة الملائكة وضرب يوم الدين
حدًّا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامه كقوله مادامت
السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليه
باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا
جا ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون
ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا
بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون
لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر
ايام التكليف بما اغويتني البا للقسم وما مصدرية وجواب القسم
لازينن والمعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لآدم

اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى

عليه اللام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض
للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء
والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته
وهو قوله بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا

١٩٥

الا ان الاول انما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء
بينهما ويجوز ان لا تكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك
لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبب لاغوائهم
بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم
في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله تعالى اخلد الى الارض
واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل
من الشجرة وهو في السما فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر
او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني
فيها اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها
حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه قوله يخرج
في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون
منه اي هذا طريق حق على ان اراعيه وهو ان لا يكون لك
سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ
على وهو من علو الشرف والفضل لموعدهم الضمير للغاوين وقيل
ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود
والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى
الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود
والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزو

بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جَزٌّ بالتشديد كأنه حذف الهمزة
وألقى حركتها على الزاي كقولك خَبٌّ في خَبْءٍ ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم
الرَجُلّ ثم أجرى الوصل مجرى الوقف المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب
اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه اتقوا الكفر والفواحش
ولهم ذنوب تكفرها الصلوات ونحوها ادخلوها على ارادة القول
وقرأ الحسن أُدْخِلوها بسلام سالمين او مسلَّمًا عليكم تسلّم عليكم
الملائكة الغلّ الحقد الكامن في القلب من انغلّ في جوفه وتغلغل اى
ان كان لأحدهم في الدنيا غلّ على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيّب
نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة
فقال له علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو
ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غلّ
فقال له قائل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد
فقال فلمن هذه الآية لا امّ لك وقيل معناه طهّر الله قلوبهم من ان
يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غلّ وألقى فيها التوادّ
والتحابّ واخوانا نصب على الحال على سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد
تدور بهم الاسرّة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما
ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذلك تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس
وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب

ليتميزوا مما أحلّ من العذاب بقوم لوط عبرةً يعتبرون بها سخط الله
وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الأليم
سلامًا اي نسلّم عليك سلامًا او سلّمت سلامًا وجلون خائفون
وكان خوفه لامتناعهم من الأكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن
وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا
اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نَبشرك
بفتح النون والتخفيف إنا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي
عن الوجل اراد انك بمثابة الآمن المبشَّر فلا توجل ابشرتموني
مع مسّني الكبر بأن يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر
في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى
التعجب كأنه قال فبأيّ اعجوبة تبشرونني او اراد انكم تبشرونني بما هو
غير متصوَّر في العادة فبأي شيء تبشرون يعني لا تبشرونني في الحقيقة
بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة
لبشّر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني بأيّ طريقة تبشرونني
بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله بشرناك بالحق
يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس
فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر
على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فانٍ وعجوز عاقر
وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل

تبشرونِ وتبشرونّ بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القانطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله فان قلت قوله تعالى الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثنائين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا لمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على

الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا كان ابرهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امراته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امراته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امراته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا

بمنزلة

بالتخفيف منكرون اى تنكركم نفسى وتنفر منكم فاخاف ان
تطرقونى بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى ما جئناك
بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك
وهو العذاب الذى كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فى الاخبار بنزوله بهم
وقرى فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب
الاقليد فسر من السير والقطع فى اخر الليل قال
افتحى الباب وانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم
وقيل هو ما يمضى شى صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع
ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك
على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن
له بد من الاجتهاد فى شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك
فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم
وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من
الهفوات فى تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض
له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذى يقدم
سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم
العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن
مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذى يتحسر

على مفارقة وطنه فلا يزال يلوى اليه اخادعه كما قال
تلفت نحو الحى حين وجدتنى وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا
او جعل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى
والتوقف لان من يتلفت لا بد له فى ذلك من ادنى وقفة حيث
تؤمرون قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعدية الى الظرف
المبهم لان حيث مبهم فى الامكنة وكذلك الضمير فى تؤمرونه وعدى قضينا
بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا
وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفى ابهامه وتفسيره
تفخيم للامر وتعظيم له وقرا الاعمش ان بالكسر على الاستيناف كان
قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفى قراءة ابن مسعود
وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم اخرهم يعنى يستاصلون عن اخرهم
حتى لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم التى ضرب بقاضيها
المثل فى الجور مستبشرين بالملائكة لا تفضحون بفضيحة ضيفى لان
من اسى الى ضيفه او جاره فقد اسى اليه كما ان من اكرم من يتصل به
فقد اكرمه ولا تخزون ولا تذلونى باذلال ضيفى من الخزى وهو
الهوان او ولا تشوروا بى من الخزاية وهى الحياء عن العالمين عن ان
تجير منهم احدا وتدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون
لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين
المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته لتكونن من المخرجين وقيل

عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان تضيف احدًا قط هؤلاء
بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولادُ نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم
بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلّوا بنيّ فلا تتعرّضوا لهم
ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم
وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله
دون ما حرّم لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط
عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم و
تمييزهم بين الخطاء الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم
من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون
قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وانه اقسم بحيوته وما اقسم بحيوة احد قط كرامة له والعمر والعُمر واحد
الا انهم خصّوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف
كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما
حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم الصيحة صيحة جبرئيل
مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من
طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة
عند ربك اي معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتأملين وحقيقة
المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء
يقال توسّمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها

لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني آثارها لبسبيل
مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعدُ وهم يبصرون تلك الآثار
وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين
اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل
الضمير للايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين
لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء
واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به اصحاب الحجر ثمود
والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم
صالحا لان من كذب واحدًا منهم فكانما كذبهم جميعًا او اراد
صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير
واصحابه وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه
على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان
تكونوا باكين حذرًا من ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء
ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع حتى خلفها آمنين لوثاقة
البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى بنيانها ومن
نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او آمنين
من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون
من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعُدد الا بالحق الا خلقا
ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف

يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لآتية وان الله ينتقم لك فيها
من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق
السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل
ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ باية السيف
ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق
الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري
بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح
لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف
ابيّ وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير
كقولك قطع الثياب وقطّع الثوب والثياب سبعا سبع آيات وهي الفاتحة
او سبع سور وهي الطول واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة
لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة
يونس وقيل هي آل حم او سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني
من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلوة وغيرها
او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة او مثنية صفة
للآية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ
والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله بافعاله
العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او للتبعيض اذا اردت
بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان تكون

كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة
ويكون القرآن بعضها **فان قلت** كيف صح عطف القرآن
العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه **قلت**
اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه
اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك
هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد
آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين
النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح
راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من
الكفار **فان قلت** كيف وصل هذا بما قبله **قلت**
يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي
اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به
ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن
بالقرآن وحديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان
احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغّر عظيما وعظّم صغيرا
وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة
والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال
المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها
في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير

من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم يعني ولا تتمنّ اموالهم ولا تحزن
عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوّى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون
وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا
عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم
ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم **فان قلت**
بم تعلق قوله كما انزلنا **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق
بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب
وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم
وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف
لهما واقتسموه الى حق وباطل وعضّوه وقيل كانوا يستهزؤن به
فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز
ان يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان
اليهود اقرّت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرّت ببعض
الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله عن صنيع
قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من
الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله
وقل اني انا النذير وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على
المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير
جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون

وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا
بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزّؤن القرآن الى سحر وشعر
واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين
اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين
لينفّروا الناس عن الايمان برسول الله يقول بعضهم لا تغترّوا
بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر
فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص
بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على
الرهط الذين تقاسموا على ان يبيّتوا صالحا عليه السلام و
الاقتسام بمعنى التقاسم **فان قلت** اذا علقت قوله كما
انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدّن الى آخره بينهما
قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله عن تكذيبهم و
عداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات
الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه
على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة
من عضّى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة وليس دين
الله بالمعضّى وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن
عكرمة العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحر عاضه
ولعن رسول الله العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاوّل
عضوه

واقوى على الثاني هاتين لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل نسألهم
سؤال تقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين عما
كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر
فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهاراً كالفلق
صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل
فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من
الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني للمفعول
عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان
وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد
يغوث والاسود بن المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن
عباس ماتوا كلهم قبل بدر وقال جبريل لرسول الله امرت
ان اكفيهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم
فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات
واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال
لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات
واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحرث
بن قيس فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد
في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك

حتى مات بما يقولون من الطعن فيك وفي القرآن
فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم
وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك
حتى ياتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة
وعن النبي صلى الله عليه انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة عن رسول الله
صلى الله عليه من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار و
المستهزئين بمحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب
بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو
بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا يستعجلوه
روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم
ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر
ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس
حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا
محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله
ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ يستعجلونه
بالتاء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون
له شريك وان تكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة

او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت
لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون
بالياء والتاء ينزل قرئ بالتشديد والتخفيف وقرئ تنزل الملائكة
اى تتنزل بالروح من امره بما يحيى القلوب الميتة بالجهل
من وحيه او بما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وان انذروا
بدل من الروح اى ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اى بان
الشان اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة
بالوحى فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا بان الامر ذلك
من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولى لا اله
الا انا فاتقون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر
عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه
ولا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته
وخلق ما لا تعلمون من اصناف خلايقه ومثله متعال عن ان
يشرك به غيره وقرئ تشركون بالياء والتاء فاذا هو خصيم مبين فيه
معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم
مبين للحجة بعد ما كان نطفة من منى جمادا لا حس به ولا حركة
دلالة على قدرته والثانى فاذا هو خصيم مبين لربه منكر على خالقه
قائل من يحيى العظام وهى رميم وصفا للانسان بالافراط
فى الوقاحة والجهل والتمادى فى كفران النعمة وقيل نزلت فى ابى

بن خلف الجمحى حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد اترى الله يحيى هذا بعدما قد رم الانعام الازواج الثمانية
واكثر ما تقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه
ويكون ان تعطف على الانسان اى خلق الانسان والانعام
ثم قال خلقها لكم اى ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان
والدفء اسم ما يدفا به كما ان الملاء اسم ما يملا به وهو الدفاء من لباس
معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء
حركتها على الفاء ومنافع هى نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت
تقديم الظرف فى قوله ومنها تاكلون موذن بالاختصاص وقد يوكل
من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذى يعتمده الناس
فى معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر
والبحر فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم
منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التى تاكلونها منها
وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها
من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض
اصحاب المواشى بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها
بالعشى وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية
وتجاوب فيها الثغاء والرغاء انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم
فى عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه

لتركبوها وزينة يوارى سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة
على التسريح قلت لان الجمال فى الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى
البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرأ
عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون
وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما
لا تجزى قرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما
لغتان فى معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر
شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو
الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد
فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا
يتحملون المشاق فى بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت
معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه فى التقدير لو لم تخلق
الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه فى الحقيقة فان قلت
كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل
لم تكونوا حامليها اليه قلت طباقه من حيث ان معناه وتحمل
اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة
فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه
بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البدن
لرؤوف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح

والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اى وخلق هؤلاء للركوب والزينة
ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره فى الانعام فان قلت لم انتصب وزينة
قلت لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها فان
قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد
قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن
وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اى وخلقها زينة وجمالا
ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم
كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة
مع الدلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة
له فى طيه وقد حمل على ما خلق فى الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد
ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها
القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد
يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يؤمه
السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية
الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى
فان قلت لم غير اسلوب الكلام فى قوله ومنها جائر قلت
ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر
كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر
وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعنى ومنكم جائر عن القصد بسوء

اختيارهم والله بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء
لكم متعلق بأنزل او بشراب خبرا له والشراب ما يشرب شجر
يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر
فانه سحت يعني الكلاء تسيمون من سامت الماشية اذا رعت
فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها
تؤثر بالرعي علامات في الارض وقرئ ننبت بالياء والنون
فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات
لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها
للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون على قدرته و
حكمته والآية الدالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ
أبي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع
قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى
تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل
ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب
بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في
حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى
انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره
الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره
وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر

وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية
اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما
ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر
وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر لحما طريا هو السمك
ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله
خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا
اذا حلف الرجل لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه
لحما كما ترى قلت مبنى الايمان على العادة وعادة الناس
اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك ولهذا قال الرجل
لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار
ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند
الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا
لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم
لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها
زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت
جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة ان تميد بكم
كراهة ان تميل بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب
البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي

بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملئكة
مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى
الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات
هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل
وغير ذلك وبالنجم اراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي
الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش
والجدي وقرا الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع
نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو
من النجوم تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون
مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل
وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت
كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان
لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار
الزم لهم فخصصوا فان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام
فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم قلت فيه اوجه احدها
انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم
الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله لا
يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين
من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق

وفي بعض النسخ والجدي

من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها
يعني ان الالهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد
واذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة
لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان قلت
هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد
جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن
لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه
والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات
وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها
لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها
من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا
ينحصر ولا يعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم
في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة
على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم وهو
وعيد والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من
دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم
خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين
بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم
اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا

مثل الله

[illegible]

آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء يعني أن من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها وما يشعرون أيان يبعثون أي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكما بحالها لأن شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي إلا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات أي لا بد لهم من الموت غير أحياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة إلهكم إله واحد يعني أنه قد ثبت بما تقدم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره وأنه واحد لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح

دليلها استمرارهم على شركهم وأن قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها لا جرم حقا أن الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد إنه لا يحب المستكبرين يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز أن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه ماذا منصوب بأنزل بمعنى أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع بالابتداء بمعنى أي شيء أنزله ربكم فإذا نصبت فمعنى أساطير الأولين ما يدعون نزوله أساطير الأولين وإذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الأولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع **فإن قلت** هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزل ربهم وأساطير **قلت** هو على السخرية كقوله إن رسولكم الذي وهو كلام بعضهم لبعض أو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم ليحملوا أوزارهم أي قالوا ذلك إضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول

ل يعني يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال
الوزر من أضل وإن لم يعلم لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله
حتى يميز بين المحق والمبطل القواعد أساطين البناء التي تعمده
وقيل الأساس وهذا تمثيل يعني أنهم سووا منصوبات ليمكروا
بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا
بنيانا وعمدوه بالأساطين فأتي البنيان من الأساطين بأن
ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لأخيه
جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح
ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فأهب الله الريح
فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى إتيان الله إتيان أمره من القواعد
من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون
ولا يتوقعون وقرئ فأتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين
يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته
يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة شركاي على الإضافة
إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم
تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم
وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لأن مشاقة المؤمنين
كأنها مشاقة الله قال الذين أوتوا العلم هم الأنبياء والعلماء من
أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم

ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله
ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة قرئ تتوفاهم
بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بإدغام التاء في التاء فألقوا
السلم فسالموا وأخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا
من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء جحدوا ما
وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولوا العلم إن الله
عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة
وكذلك فادخلوا أبواب جهنم خيرا أنزل خيرا فإن قلت
لم نصب هذا ورفع الأول قلت فصلا بين جواب المقر
وجواب الجاحد يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا
الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للإنزال فقالوا خيرا أي
أنزل خيرا وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير
الأولين وليس من الإنزال في شيء وروي أن أحياء العرب
كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه
فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا
إن لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شر وافد إن رجعت
إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب رسول
الله فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا
وقوله للذين أحسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين

اتقوا اي قالوا هذا القول فقدّم عليه تسميته خيراً ثم حكاه ويجوز
ان يكون كلاماً مبتدأً عِدَةً للقائلين ويُجعل قولهم من جملة احسانهم
ويحمدوا عليه ... حسنة مكافأة في الدنيا باحسانهم وهم في
الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح
لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون
المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر و
المعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم قيل
اذا اشرف العبد المؤمن جاءه ملك فيقول السلام عليك يا ولي الله
الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة تأتيهم الملائكة قرئ بالتا
والياء يعني ان تأتيهم لقبض الارواح او أمر ربك العذاب
المستأصل او القيامة كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك
و التكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به
التدمير سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله جزاء
سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدّ من اصناف
كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام
الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاءً به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم
واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرّموا ما احل

من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا
وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل
الذين من قبلهم اي اشركوا وحرّموا حلال الله فلما نبهوا على قبح
فعلهم وركنوا على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان
الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على
بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها
بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها
وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد
امدّ ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بانه ما من امة الا وقد
بعث فيهم رسولاً يأمرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله
وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى
الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه
الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه
مصمماً على الكفر لا يأتي منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت
بالمكذبين حتى لا تبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه
حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص
رسول الله على ايمانهم وعرّفه انهم من قسم من حقت عليهم
الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه
عبث والله متعالٍ عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا يجوز عليه

وقرئ لا يُهدى اى لا تقدر انت ولا احد على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذى هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدى بمعنى لا يهتدى يقال هداه الله فهدى وفى قراءة أبيّ فان الله لا هادى لمن يضل ولمن اضل وهى معاضدة لمن قرأ لا يهدى على البناء للمفعول وفى قراءة عبد الله لا يهدّى بادغام التاء وهى معاضدة للاولى وقرئ يَضِلّ بالفتح وقرأ النخعى ان تحرص بفتح الراء وهى لغة واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدوّنا توريك ذنوبهم على مشية الله وانكارهم البعث مقسمين عليه بلى اثبات لما بعد النفى اى بلى يبعثهم الله ووعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبيّن ان الوفاء بهذا الوعد حق واجب عليه فى الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شىء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذى اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كذبوا فى قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء وفى قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق

بقوله ولقد بعثنا فى امة رسولا اى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب قولنا مبتدا وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اردنا وجود شىء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المامور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله عز وعلا بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من شق المقدورات وقرئ فيكونَ عطفا على نقول والذين هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله وكلما خرجوا تبعوهم فردّوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فى الله فى حقه ولوجهه حسنة صفة للمصدر اى لنبوئنهم تبوئة

حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة
وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة
الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه
قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة
اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها
ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله
يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في
دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون
ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على هم الذين
صبروا او على الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب
وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب
فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح
في سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله
بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم على
السنة الملائكة فسئلوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم
ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا
قوله بالبينات له متعلقات شتى فاما ان يتعلق
بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا

رجالا الا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله
ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين
بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات
فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى اي يوحى اليهم
بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام
كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فسئلوا اهل
الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل
للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم
يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا
واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا
ويتأملوا مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما
مكروا به رسول الله في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم
واسباب دنياهم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما
قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون
وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته
وتخونته اذا تنقصته قال زهير تخوف الرحل منها
تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان
يتنقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي
الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل

فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب
ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال
عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال
شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم لرؤف رحيم
حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم وقرئ اولم يروا و تتفيؤا
بالتا واليا وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤا
ظلاله واليمين بمعنى الايمان وسجدا حال من الظلال
وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو
ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من
اوصاف العقلاء او لان في الجملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى
اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن
ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة
من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من
جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له
التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال
الله فيها لا تمتنع من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات
وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها
كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده
ويراد بما في السموات وما في الارض الخلق الذي يقال له الروح

وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملئكة وكرر
ذكرهم على معنى والملئكة خصوصا من بين الساجدين لانهم
اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن
بقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم **فان قلت**
سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف
عبر عن النوعين بلفظ واحد **قلت** المراد بسجود المكلفين
طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير
ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا
فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد **فان قلت** فهلا جيء
بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم **قلت**
لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا
للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون
يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون
خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان
من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه
يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم
حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر
فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملئكة
مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين

وانهم بين الخوف والرجاء فان قلت انما جمعوا بين العدد
والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلثة
وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد
الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما
دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان
فما وجه قوله تعالى الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى
الافراد او التثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريد
الدلالة على ان المعنى به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد
شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك
لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك
تثبت الالاهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل للكلام
عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغايب هو المتكلم وهو من
طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه
ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم الدين الطاعة
واصبا حال عمل فيه الظرف والواجب الثابت
لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه
ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة
ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دايما ثابتا سرمدا لا يزول يعني
الثواب والعقاب وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم او اتصل

بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه
والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى
يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ
تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة كاشف
الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة
يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم
يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من
نعمة من الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون
الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فاذا
فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم
جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون
تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على
ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد في
معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر لما لا يعلمون اي لآلهتهم
ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع
وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع
فهم اذن جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لأشياء
غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم

ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسئلن وعيد
عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب
اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملئكة بنات الله سبحنه
تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما
يشتهون يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتداء
والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اى وجعلوا
لانفسهم ما يشتهون من الذكور ظل بمعنى صار كما يستعمل
بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجى ظل لان اكثر
الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من
الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على
المراة يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به
ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسكه ما بشر به
على هون على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده
وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث وقرئ على
هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذى
هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا
الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور
وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق واقرارهم على
انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغني عن العالمين

والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم بظلمهم
بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط
ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة انه سمع رجلا
يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى
لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد
الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وعن
ابن عباس ما من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك
الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم
من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم
والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم
اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه
قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا
قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى
بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال
هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له
اما تستحيي من ذلك الموقف وقرا هذه الآية وعن مجاهد
ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى
بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون

وقرئ مفرَطون مفتوح الرا، ومكسورها مخففًا ومشددًا فالمفتوح بمعنى
مقدَّمون الى النار معجَّلون اليها من أفرطت فلانًا وفرّطته
في طلب الما اذا قدّمته وقيل منسيّون متروكون من أفرطت
فلانًا خلفي اذا خلّفته ونسيته والمكسور المخفّف من الافراط
في المعاصي والمشدّد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم
فهو وليّهم اليوم حكاية للحال الماضية التي كان يزيّن لهم
الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليّهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة
عن زمان الدنيا ومعنى وليّهم قرينهم وبئس القرين او يجعل
فهو وليّهم اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذّبين
في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيًا للناصر
لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه
زيّن للكفّار قبلهم اعمالهم فهو وليّ هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان
يكون على حذف المضاف اي فهو وليّ امثالهم اليوم وهدى
ورحمة معطوفان على محل ليبيّن الا انهما انتصبا على انهما
مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب . ودخل اللام على
ليبيّن لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له
ما كان فعل فاعل الفعل المعلّل والذي اختلفوا فيه البعث
لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من
التحريم والتحليل والانكار والاقرار لقوم يسمعون سماع

انصاف وتدبّر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصمّ لا يسمع
ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسما المفردة
الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع
الضمير اليه مفردًا واما في بطونها في سورة المؤمنين
فلانّ معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان
احدهما ان يكون تكسير نَعَم كاجبال في جبل وان يكون
اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذُكّر فكما يذكّر نعم
في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انّث
ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع وقرئ نَسقيكم
بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل
نسقيكم من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين
الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله
لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص
من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في
كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما
والكبد مسلّطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري
الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقي الفرث في الكرش
فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكّر
وتأمّل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب

نخرج اللبن من بين فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق
ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيّغا بالتشديد
وسيْغا بالتخفيف كهيّن وليّن فان قلت اي فرق
بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان
اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا
والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء
الذي منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض
ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق
بمحذوف اي كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تأخر
فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه
موضع العبرة فهو قمن بالتقدم وقد احتج بعض من يرى
ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول
بهذه الآية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر
كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت بم
تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت
بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل اي من عصيرها
وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا
بيان وكشف عن كنه الاسقاء او يتعلق بتتخذون ومنه من
تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون

تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى
البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم يأكلون بعضها ويتخذون
من بعضها السكر فان قلت فالام يرجع الضمير في منه
اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذي
هو العصير كما رجع في قوله تعالى او هم قائلون الى الاهل
المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد
رشدا ورشدا قال وجاؤونا بهم سكر علينا
فأجلى اليوم والسكران صاحي وفيه وجهان ان تكون
منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي وان يجمع بين
العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب
والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد
وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية
وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار
جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي قدس الله روحه غير
كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية
قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له قد صنفت في
تحليله فقال تناولته الدعارة فيستحي في المروة وقيل السكر
الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا لى

تنقلت بأعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا انتشى في أعراض
الناس فكانه تخمرها والرزق الحسن الخل والرب والتمر
والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كأنه
قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن الآية الى النحل إلهامها
والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد
الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير أمرها
واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله
أودعها علما بذلك وفطنها كما أولى أولي العقول [عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل] وتأنيثه
على المعنى ان اتخذي هي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول
وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الرا وضمها
يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في
الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تتعسل فيها و
الضمير في يعرشون للناس **فان قلت** ما معنى من في
قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا
قيل في الجبال وفي الشجر **قلت** اريد معنى البعضية وان
لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش
ولا في كل مكان منها من كل الثمرات احاطة بالثمرات
التي تجرسها النحل وتعتاد أكلها اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة
تشتهينها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اى الطرق التي ألهمك

وأفهمك في عمل العسل أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك اى
في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك
ومنافذ مأكلك أو اذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من
بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا
تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها
فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة أو اراد بقوله ثم كلي
ثم اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل
ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها
لها ووطأها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا
أو من الضمير في فاسلكي اى وانت ذلل منقادة لما امرت
به غير ممتنعة شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف
الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء للناس
لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل
معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض
انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره إما لتعظيم
الشفاء الذي فيه أو لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه
فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع
فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك

فسقاه

فشفاه الله فبرأ كأنما أنشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود
العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم
بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع تأويلات الرافضة
أن المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم أنه قال عند المهدي إنما
النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل
الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي
وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم إلى أرذل

أي

العمر إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي
الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لا نعمر أسوأ حالا من عمر الهرم
لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في
النسيان وأن يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه
إن سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الأول شيئا
وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه لو جعلكم متفاوتين في
الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم وإخوانكم
فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا
في المطعم والملبس كما يحكى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول
الله صلى الله عليه إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم
مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره
إزاره من غير تفاوت أفبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك

من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء
فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به
عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم
فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى
أن الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا
يحسبن الموالي أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من
الرزق فإنما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم وهو يجحدون
بالتاء والياء من أنفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حواء من
ضلع آدم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في
الطاعة والخدمة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد وقال
حفد الولائد بينهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال
واختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد
الأولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل المعنى
وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم
ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكرا ورزقا
حسنا كأنه قيل وجعل لكم منهن أولادا هم بنون وهم حافدون
أي جامعون بين الأمرين من الطيبات يريد بعضها
لأن كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج
منها أفبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة

الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه
بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن
ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز
هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول
وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة و
السائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم الرزق يكون بمعنى
المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا
كقوله او اطعام مسكينا على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت
المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون
تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات
والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق
من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان
اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في
معنى الالهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون
للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولو
الباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به
فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك
وهل هما الا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير
راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية

عنهم اصلا لانهم اموات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك
والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم
ان يملكوه ولا يتأتى ذلك فيهم ولا يستقيم فلا تضربوا
لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب
الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم
كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه
في العظم لان العقاب على الاثم وانتم لا تعلمون كنهه
وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم اليه وجرأكم عليه فهو
تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال
ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم
كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل
من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين
حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه
كيف يشاء فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد
مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك
فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما
من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب
ولا مأذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في
العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له

فان قلت من فى قوله ومن رزقناه ما هى قلت
الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا
ولا يمتنع ان تكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على
الجمع قلت معناه هل يستوى الاحرار والعبيد الابكم
الذى ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اى
ثقل وعيال على من يلى امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله
ويصرفه فى مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح
هل يستوى هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد
وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو فى نفسه على
صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان
ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته
والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التى هى اموات
لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم
اينما اوجه الق سعدا وقرا ابن مسعود اينما يوجه على
البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض اى يختص
به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه او اراد بغيب
السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب عن
اهل السموات والارض ولم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر
او هو اقرب اى هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم فى الشئ

الذى تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم فى استقرابه
وهو كقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده و
ان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اى هو عنده دان
وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء
واحياء الاموات من الاولين والآخرين تكون فى اقرب وقت
واوحاه ان الله على كل شئ قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة
ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده
قرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة فى امات كما
زيدت فى اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها فى الواحدة
قال أمهتى خندف والياس ابى لا تعلمون شيئا
فى موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذى
خلقكم فى البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق
الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء
الا آلات لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل
به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى ما
يسعدكم والافئدة فى قوله كالاغربة فى غراب وهو من جموع
القلة التى جرت مجرى جموع الكثرة اذا لم يرد فى السماع غيرها
كما جاء شسوع فى جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى وقرئ الم
تروا بالتاء والياء مسخرات مذللات للطيران بما خلق

لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك والجو الهوا المتباعد
من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن
في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته من بيوتكم التى
تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل
بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف
بيوتا هى القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها
ترونها خفيفة المحمل فى الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم
ويوم اقامتكم لى يوم ترتحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم
تنزلون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هى خفيفة عليكم فى اوقات
السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا شيئا
ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان تبلى
وتفنى او الى ان تموتوا وقى يوم ظعنكم بالسكون مما خلق من
الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من
البيوت المنحوتة فى الجبال والغيران والكهوف سرابيل هى
القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها
تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقل ما
يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقى من الحر يقى من البرد فدل
ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع فى
الجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون

لى تنظرون فى نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرى
تسلمون من السلامة لى تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم
قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع
فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب
عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب
يعرفون نعمة الله التى عددناها حيث يعترفون بها وانها
من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هى من الله ولكنها
بشفاعة الهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل
قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو
هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله
سببا في نيلها واكثرهم الكافرون لى الجاحدون غير المعترفين
وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم
ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم
فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم
امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف
لا ان ينكر شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق
والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار والمعنى
لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن
رحمه الله ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون لى لا يقال لهم

أرضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل فإن قلت
ما معنى ثم هذه قلت معناها أنهم بعد شهادة الأنبياء
عليهم السلام بما هو أطم منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم
في إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر
يوم نبعث أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك وإذا رأوا العذاب
بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم
بغتة فتبهتهم الآية إن أرادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا
التي دعوناها شركاء وإن أرادوا الشياطين فلأنهم شركاؤهم
في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعو بمعنى نعبد فإن قلت
لم قالوا إنكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت
لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة
والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن
كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا أو كذبوهم
في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشريك وإن أريد بالشركاء
الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين في قولهم إنكم لكاذبون كما يقول
الشيطان إني كفرت بما أشركتمون من قبل وألقوا يعني الذين
ظلموا وإلقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من أن لله
شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم

الذين كفروا في أنفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله
عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات أمثال
البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة فيجد
صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار إلى
الزمهرير فيبادرون من شدة برده إلى النار بما كانوا يفسدون
بكفرهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم
من أنفسهم يعني نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم
وجئنا بك يا محمد على هؤلاء على أمتك تبيانا بيانا بليغا
ونظير تبيان تلقاء في كسر أوله وقد جوز الزجاج فتحه
في غير القرآن فإن قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء
قلت المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان
نصا على بعضها وإحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع
رسول الله وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا
على الإجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله
لأمته اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله أصحابي كالنجوم
بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق
القياس والاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس
والاجتهاد مستندة إلى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا
لكل شيء العدل هو الواجب لأن الله عز وجل عدل فيه على عباده

فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب
وانما علق أمره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط
فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه لمن علمه الفرائض
فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت أفلح إن صدق فعقد
الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه السلم
استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط
من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره
العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين أسقطت لعنة
الملاعين من الخطب على امير المؤمنين رضوان الله عليه أقيمت
هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا
ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة
نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن
مظعون عهد الله هي البيعة لرسول الله على الاسلام إن
الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الأيمان أيمان البيعة
بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان
والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع
لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الأيمان كالمرأة
التي أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته أنكاثا جمع
نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء

اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على
قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم
تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا
احد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا بينكم
اي مفسدة ودغلا أن تكون أمة بسبب أن تكون أمة
يعني جماعة قريش هي أربى من أمة هي أزيد عددا
وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين إنما يبلوكم الله به
الضمير لقوله أن تكون أمة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم
بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وما عقدتم
على انفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله ام تغترون
بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن
لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم
أمة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الإلجاء والاضطرار وهو قادر
على ذلك ولكن الحكمة اقتضت أن يضل من يشاء وهو ان يخذل
من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف
بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى
ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه
على الإجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن
عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما أثبت

لهم عملا تسألون عنه ۞ ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم
تأكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يرتكب منه ۞ فتزل قدم بعد
ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا
السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين
او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا
نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ۞ ولكم عذاب عظيم في الآخرة
كان قوما ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من
غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا
يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه
رسول الله فثبتهم الله ۞ ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله
وبيعة رسول الله ۞ ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما
كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ۞ ان ما عند الله
من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم
ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ۞ وما عند الله من خزائن
رحمته باق لا ينفد ۞ وقرئ لنجزين بالنون والياء ۞ الذين صبروا
على اذى المشركين ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت
القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة
عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت
من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت

وهو منهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر
تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين
جميعا ۞ حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم
وعد الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان
او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه
وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة
والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان
معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا
بعيشه ۞ وعن ابن عباس الحيوة الطيبة الرزق الحلال
وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل
هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه ۞ لما ذكر العمل الصالح
ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل
الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ
كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت
فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل
قلت لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير
فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة

لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل

وعن عبد الله بن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه فقلت
اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا بن أم عبد
قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن
القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان لى تسلط وولاية
على اولياء الله يعني أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم
من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه
به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان
على معنى بسببه تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى
ينسخ الشرايع بالشرايع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز
ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم
بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى
قوله والله اعلم بما ينزل فقالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلاً
للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ
وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم
عنه غدا فيأتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق
بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق
بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة فان قلت
هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله
ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس

كنية ام عبد

قلت فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه
بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في ايجاب
العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس
والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها في
ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب
الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح
كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في
خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل صلوات
الله عليه اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم
الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد
الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها
بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان
النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ
حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم
بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على
ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب
وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت
والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض
بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف

روح القدس جبريل

ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن
إسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر
غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار
كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل فكان
رسول الله اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه
فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي
واللسان اللغة ويقال لحد القبر والحده وهو ملحد وملحود
اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير
لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه
ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين
الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه
لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان
وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرى يلحدون بفتح اليا
والحا وفي قراة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان
فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي
ما محلها قلت لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم
ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم
آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان
الذين لا يؤمنون بايات الله لا يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم

لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب
في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب رد
لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه
لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون
لوهم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون
اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة والكاملون في الكذب
لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او اولئك هم الذين عادتهم
الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروة ولا دين او اولئك
هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين
لا يؤمنون بايات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون
اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب
من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت
حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به
نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من
المبتدا الذي هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون
او من الخبر الذي هو الكاذبون على واولئك هم من كفر بالله شرطا
مبتدا ويحذف جوابه لان جواب الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر لان
جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب
الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله روي ان

قوله وذلك يعني انه ما اجاب عن قولهم انما انت مفتر بقوله ما نزله روح القدس كما مر بانه ما الما نفتري الكذب تعريضا بهم الى الكذب اعظم من الكذب آيات الله وهو اصدق الحديث قوله او اولئك هم الذين عادتهم الكذب هذا على ان الواو للاستيناف والجملة معترضة قوله او اولئك الذين عادتهم لان من عادته ان ينشر الجملة المعترضة بهذا الشان والواو على الوجهين السابقين للعطف البياني وعلى الوجه الرابع وهو قوله او اولئك هم الكاذبون

من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله

ناسًا من اهل مكة فُتِنوا فارتدّوا عن الاسلام بعد دخولهم
فيه وكان فيهم من اُكرِهَ فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو
معتقد للايمان منهم عمّار وابواه ياسر وسميّة وصهيب وبلال
وخبّاب وسالم عُذّبوا فامّا سميّة فقد رُبطت بين بعيرين
ووُجِئَ في قُبُلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال
فقُتلت وقُتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام وامّا
عمّار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مُكرَهًا فقيل يا رسول
الله ان عمّارا كفر فقال كلّا ان عمّارا مُلِئَ ايمانا من قرنه
الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمّار رسول
الله صلى الله عليه وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه
وقال ما لك ان عادوا لك فعُد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى
الحضرمي اكرهه سيّده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما
وهاجرا فان قلت اي الامرين افضل افعل عمّار ام فعل
ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقيّة والصبر
على القتل اعزازًا للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين
فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول فيّ
قال انت ايضا فخلّاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال
رسول الله قال ما تقول فيّ قال انا اصمّ فاعاد عليه ثلاثا
فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه فقال امّا الاول

فقد اخذ برخصة الله وامّا الثاني فقد صدع بالحق
فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وانّ الغضب والعذاب
يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم
خذلان الله بكفرهم واولئك هم الغافلون الكاملون
في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبّر
العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم انّ ربّك
دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمّار
واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم يعني انه وليّهم
وناصرهم لا عدوّهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه
فيكون محميًّا منفوعًا على البناء للفاعل اي بعد ما عذّبوا
المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد
هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر يوم تأتي
منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس
المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه
وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي
الجملة والثانية عينها وذاتها فكانّه قيل يوم يأتي كلّ انسان
يجادل عن ذاته لا يهمّه شأن غيره كلّ يقول نفسي نفسي
ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلّونا ما كنّا
مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي

هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا
وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن تراد قرية مقدرة على
هذه الصفة وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها
فضربها الله مثلاً لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها مطمئنة لا
يزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق
مع الخوف رغداً واسعاً والأنعم جمع نعمة على ترك الاعتداد
بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس وفي الحديث
نادى منادي النبي صلى الله عليه بالموسم بمنى إنها أيام طعم ونعم
فلا تصوموا فإن قلت الإذاقة واللباس استعارتان
فما وجه صحتهما والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار
فما وجه صحة إيقاعها عليه قلت أما الإذاقة فقد جرت
عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس
منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب
شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر
والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس
ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث وأما إيقاع
الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما
يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع
والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الإحاطة بهما فإن
الاستنكار لا

الا لمن فقدهما أحدهما أن ينظروا إلى المستعار له كما نظر
إليه هاهنا ونحوه قول كثير غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً
غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف
لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه
بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظراً إلى
المستعار له والثاني أن ينظروا فيه إلى المستعار كقوله
ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر
أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر إلى المستعار في لفظ
الاعتجار ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال
كثير ضافي الرداء إذا تبسم ضاحكاً وهم ظالمون في حال التباسهم
بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم نعوذ بالله من مفاجأة
النقمة والموت على الغفلة وقرئ لباس الجوع والخوف عطفاً على اللباس
أو على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أصله ولباس
الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية
وما أوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك الفاء في قوله
فكلوا صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها
بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر إنعامه بذلك وقال
إن كنتم إياه تعبدون يعني تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تعبدون الله

بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عند الله ثم عدّد عليهم محرمات الله
ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع
ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على
ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من
غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه
واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا
حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على
ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال
وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق
هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به
السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج
ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت
هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه
فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته
كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر
صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى
بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب

جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم
الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام
في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدا
محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة
وعقابها عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام بجهالة في
موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او
غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد
التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم
لكماله في جميع صفات الخير كقوله وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في
واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان
يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى
مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول
فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن
نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله
فقلت غلطت انما هو ابراهيم صلى الله عليه فقال الامة الذي يعلم الخير
والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه
قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان
معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت لله

ليس بينه وبين الله يوم القيامه الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو
كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اى كان اماما فى الدين لان
الايمة معلمو الخير والقانت القايم بما امره الله والحنيف المايل الى ملة
الاسلام غير الزايل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش فى زعمهم انهم
على ملة ابيهم ابراهيم شاكرا لانعمه روى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف
فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداه فاذا هو بفوج من الملايكة فى صورة البشر
فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم
شكرا لله تعالى على انه عافانى وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة
وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة هى تنويه
الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال و
الاولاد وقيل قول المصلى منا كما صليت على ال ابراهيم لمن الصالحين لمن
اهل الجنة ثم اوحينا اليك فى ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول
الله صلى الله عليه واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتى خليل الله
ابراهيم عليه السلام من الكرامة واجل ما اولى من النعمة اتباع رسول الله
ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت فى المرتبة من بين ساير
النعوت التى اثنى الله عليه بها السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه
واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم
ان يتفقوا فى تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد

فيه وتعظيمه والمعنى فى ذكر ذلك نحو المعنى فى ضرب القرية التى كفرت بانعم الله
مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره
والخالعين ربقة طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا
جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلافهم
فعلهم فى كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه اخر وهو ان موسى
عليه السلام امرهم ان يجعلوا فى الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم
الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات
والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم فى
السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله
لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون
بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم
الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازى كل واحد
من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه
وترك الاصطياد فيه وقرى انما جعل السبت على البنا للفاعل
وقرا عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة
بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة
والموعظة الحسنة وهى التى لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها
وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القران اى ادعهم بالكتاب
الذى هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتى هى احسن بالطريقة

التي هي احسن طريقة المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف
ان ربك هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة
ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد
بارد سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع
سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وروى وان عقبتم
فعاقبوا الى وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روى
ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذا
ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله على
حمزة وقد مثل به وروى فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به
لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه
وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي
عنها حتى بالكلب العقور اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو
مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اى ولئن صبرتم لصبركم
خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون
على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة
واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين
جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وعلا فمن عفا
واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله
عليه السلام واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اى بتوفيقه

وتثبيته وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم اى على الكافرين كقوله
فلا تاس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكا فرون
ولا تك في ضيق وقرى ولا تكن في ضيق اى ولا يضيقن صدرك
من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اى في امر ضيق ويجوز ان يكون
الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين
اتقوا اى هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون
في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال
انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار
الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان

سبحن علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك
اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل
فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها
اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف
فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى
ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء
وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك

التنكير فيه فدل على معنى البعضية وتشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل لى بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعنى الامر بالقيام فى بعض الليل واختلف فى المكان الذى اسرى منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروى عن النبى صلى الله عليه بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتانى جبريل بالبراق وقيل اسرى به من دار ام هانى بنت ابى طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروى انه كان نائما فى بيت ام هانى وقال مثل لى النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانى بثوبه فقال مالك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبونى فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله بحديث الاسرى فقال ابو جهل يا معشر بنى كعب بن لوى هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعى رجال الى ابى بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق وفيهم من سافر الى ثمة فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم

٢٢

نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء فى تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى فى السماء من العجائب وانه لقى الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا فى وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف فى انه كان فى اليقظة ام فى المنام فعن عائشة رضى الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان فى المنام رؤيا راها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من اياتنا ثم انه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك ان لا تتخذوا قرى بالياء على ليلا يتخذوا

وبالنا على اى لا تتخذوا كقوله كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرا لا تتخذوا بالتا على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اى لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملئكة والنبين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرى ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروى عنه انه قد فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء آبائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شا اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شا اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شا اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شا احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شا حبسه وروى انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملايمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا للاختصاص والثناء

عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اى مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اى يتعظمون ويبغون في الكتاب في التورية ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرى لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقرى عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت فقتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وجل اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة

وجملة الجوس المسند اليهم وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فتجوسوا وخلل الديار
فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت معناه
وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب
وعدا لابد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اى الدولة والغلبة
على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو
قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم
ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم
والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد و
المعيز اى الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى
النفع والضر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت
الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة الآخرة
بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا
وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه
الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث
ولنسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرئ
لنسوءن بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق
بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء ما علوا
مفعول ليتبروا اى ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى
مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى

وانزجرتم

وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم
وقد عادوا فاعاد الله اليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب
الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه
فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان
آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب
الى يوم القيامة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن
بساطا كما يبسط الحصير المرمول للتي هي اقوم للحالة التي هي
اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم
تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في
ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ
ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار
ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي
واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك
فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون
قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين
ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد
ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون ويدعو الله عند غضبه بالشر
على نفسه واهله وماله كما يدعو لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله
للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان عجولا يتسرع

ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة

الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأنّي المتبصر وعن النبي صلى الله عليه انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له مالك تئن فشكا ألم القدّ فارخت من كتافه فلما نامت لغرج بده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه دعا به فاعلم بشأنه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه اني سألت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت عنقه صبرا فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيّري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بيّنة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء

لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا

مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا الليل ممحوّ الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحوّ وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر

حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بيّنة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيّناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا ينفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن رحمه الله يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلّدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ ونخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقّاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم

من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

من لم يكن في الدنيا فارئنا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان تتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن ادم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك لكن كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا عن النظر في ادلة العقل

واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا

واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف لان ففسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور به فكان المامور به في

هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام
فانه لا ينوي لامره مأمورًا به وكانه يقول كان مني امر
فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر
وينهى غير قاصد الى مفعول **فان قلت** هلا كان ثبوت
العلم بان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير دليلا
على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا **قلت** لا يصح ذلك لان
قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان
صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض
فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو
شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت
تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت عليه
اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك
الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة
لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر
من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال
سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا
من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك
هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيأمر اي سيكثر وسيكبر
وقرئ آمرنا من امر وآمره غيره وامّرنا بمعنى امرنا او من امر امارة

وامّره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم كم مفعول اهلكنا
ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني
عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب
الهلكة لا غير وانه عالم بها فمعاقب عليها من كانت العاجلة
همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من
منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد
المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال
ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا
منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم
فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو
غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا ام لم يؤت فان اوتي
فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن
نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع
الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله عز وجل
فلا فرق اذن بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد
على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء
يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق
والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام

وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك

لمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت
هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
مدحورا مطرودا من رحمة الله سعيها حقها من السعي وكفاءها
من الاعمال الصالحة اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا
ارادة الآخرة بان يعقد بها همة ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما
كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض
المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت
ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية وشكر الله الثواب
على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من
المضاف اليه نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه
مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه
التفضل وفي الآخرة التفاوت اكثر لانها ثواب واعواض
وتفضل وكلها متفاوتة وروى ان قوما من الاشراف فمن دونهم
اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب
فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من
قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطأنا وهذا
باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر
لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وروي واكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها
المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع

في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى
قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم
وما يتبعه من الهلاك من الآلهة والخذلان والعجز عن النصرة ممن
جعلته شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا
ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا
واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرى
واوصى وعن ابن عباس ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل
وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان
المصدر لا يتقدم عليه صلته اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا
لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم
يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما
تكرمنه ولحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرا يبلغان بدل
من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا
وبدلا **فان قلت** لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما
توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل **قلت** لانه معطوف
على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان
يكون مثله **فان قلت** ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون
المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل **قلت**
لو اريد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما
توكيدا

أنّ التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الأول   أفّ صوت يدل على
تضجر وقرئ أفّ بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على
أصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثمّ والضم إتباع
كمنذ   ما معنى عندك هو أن يكبرا أو يعجزا وكانا
كلّا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه
وذلك أشق عليه وأشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما
كانا يتوليان منه في حال الطفولة وهو مأمور بأن يستعمل
معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما
إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما أفّ فضلا عما
يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن
شفع الإحسان إليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا
ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت
من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع أحوال
لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في الاستطاعة   ولا تنهرهما
ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم أخوات
وقل لهما بدل التأفيف والنهر   قولا كريما جميلا كما يقتضيه
حسن الأدب والنزول على المروءة وقيل هو أن يقول يا أبتاه
يا أماه كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه يا أبت مع كفره ولا
يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وعادة الدعار قالوا

ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني
أبو بكر كذا   وقرئ جناح الذُّل والذِّل بالضم والكسر
فإن قلت ما معنى قوله جناح الذل **قلت** فيه وجهان أحدهما
أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما أضيف حاتم إلى الجود
على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول والثاني
أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال
يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما   من الرحمة
من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم
إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس   ولا تكتف برحمتك
عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية
واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك
فإن قلت الاسترحام لهما إنما يصح إذا كانا مسلمين
قلت وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الإيمان
وأن يدعو الله لهما بالهداية والإرشاد ومن الناس من قال
كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة
عن الميت فقال كل ذلك واصل إليه ولا شيء أنفع له من الاستغفار
ولو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين ولقد كرر
الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار

مايشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق مايشاء أن يفعل
فلن يدخل الجنة وروى سعد بن المسيب ان البار لا يموت
ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه إن أبوي
بلغا من الكبر إني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل
ذلك وانت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله اباه وانه
ياخذ ماله فدعا به فاذا هو شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان
ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي
واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله
فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت
ومالك لابيك انت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق امه
فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها
سيئة الخلق قال لم تكن سيئة كذلك حين ارضعتك حولين
قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك
ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال
حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر
انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول انی لها مطية لا اذعر
اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتني اكثر الله اكبر
ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه

وعنه عليه السلام إياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد
ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم
ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إن الكبرياء لله رب العالمين
وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها
ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي
يوسف اذا امره أن يوقد تحت قدر وفيها لحم الخنزير أوقد وعن
حذيفة انه استأذن رسول الله في قتل ابيه وهو في صف المشركين
فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل ابن عياض عن بر الوالد
فقال أن لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال أن
لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة
في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا
وتقوم بخدمة أوداء أبيهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه أن
من أبر البر أن يصل الرجل اهل ود ابيه بما في نفوسكم بما في
ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما
من التوقير إن تكونوا صالحين قاصدين الصلاح و
البر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو
منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم أبتم
الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين للتوابين
وعن سعيد بن جبير في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد

بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما
اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه
جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب
من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه وصى
بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم
وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن
الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة والشافعي
لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير
او لم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة و
حسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك
والمسكين وابن السبيل يعني وآت هولاء حقهم من الزكوة وهذا دليل
على ان المراد بما يؤتى ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال
وقيل المراد بذي القربى اقرباء رسول الله صلى الله عليه التبذير
تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية
تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك
في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف
وعن عبد الله انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق
مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر
فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر

المد مكيال وهو رطل وثلث عند اهل الحجاز ورطلان عند اهل العراق

عمر ومر رسول الله صلى الله عليه بسعد وهو يتوضأ فقال ما
هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء سرف قال نعم وان
كنت على نهر جار اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة
وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم
لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في
النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي
ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرأ الحسن اخوان
الشيطان وان اعرضت عن ذوي القربى والمساكين وابن
السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير
مجابين اذا سالوك وكان النبي صلى الله عليه اذا سئل شيئا
وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء
رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي
فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم
ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم
واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق
من ربك ترجوا ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا
فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان
الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع
السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم

ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا تريد الاعراض بالوجه
كناية بها لاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه
يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول
وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء
لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اى دعاء
فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد
الذى هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير
ملوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس
يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمنى ويقول المستغنى ما يحسن
تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما
فعلت محسورا منقطعا بك لا شئ عندك من حسرة السفر
اذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر بينا رسول الله صلى
الله عليه اتاه صبى فقال ان امى تستكسيك درعا فقال
من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت
له قل له ان امى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع
قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج
للصلوة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة
بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشا يقول
اتجعل نهبى ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس فى مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال
يا ابا بكر اقطع لسانه عنى اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلى
رسول الله صلى الله عليه عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك
ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته فى
بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد
ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذى الخزائن فى
يده فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا بسط
لعباده او قبض فانه يراعى اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية
مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته قتلهم
اولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهى
الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرى خشية بكسر الخاء
وقرى خطأ وهو الاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وخطاء
وهو ضد الصواب وهو اسم من اخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر
والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطأ
بالفتح والسكون وعن الحسن خطاء بالفتح وحذف الهمزة
كالخب وعن ابى رجاء بكسر الخاء غير مهموز فاحشة قبيحة
زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو
ان تغصب على غيرك امراته او اخته او بنته من غير سبب
والسبب ممكن وهو النكاح الذى شرعه الله الا بالحق الا

باحدى ثلاث الا بان تكفر او تقتل مؤمنا عمدا او تزني بعد
احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه الذي بينه
وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان
وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة
يثب بها عليه فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل غير
القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان
اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين
قتل بجير بن الحرث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال
كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة
وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف
المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع
على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر
وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على
خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا
رده على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي
يعني ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد
على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار
المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم
لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب

بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه
منصور بايجاب القصاص على المسرف بالتي هي احسن بالخصلة
او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره ان العهد
كان مسؤلا اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه
ويفي به ويجوز ان تكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي
بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان
يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا وقرئ بالقسطاس بالضم
والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر من
موازين الدراهم وغيرها واحسن تاويلا واحسن عاقبة
وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف
ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه
القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول
او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده
فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل
بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع
لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور
وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مررت به فتقول هذا يفعل
كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تره ولم تسمعه وقيل القفو شبيه
بالغضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه

الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وانشد

ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحيا لا يشعن التقافيا

لها التقاذف وقال الكميت ولا ارمي البري بغير ذنب

ولا اقفوا الحواصن ان قفينا وقد سلك به مسلك الرجم

ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب

الظن مقام العلم وامر بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر

والفواد كقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع

الرفع بالفاعلية لان كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤل

مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب

عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت

الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم

عليه وقري والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد

الضمة في الفواد ثم استصحب القلب مع الفتح مرحا حال

اي ذا مرح وقري مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل

لما فيه من التاكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا

بدوسك لها وشدة وطاتك وقري لن تخرق بضم الراء

ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وقري

سيئة وسيئه على اضافة سيء الى ضمير كل وسيئا في بعض

المصاحف وسيئات وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان شانه

كيف قيل سيئة مع قوله مكروها

السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا

اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة ومن قرا سيئا الا ترى انك

تقول الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها

الى مذكر ومؤنث فان قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيء

وبعضها حسن ولذلك قرا من قرا سيئه بالاضافة فما وجه من قرا

سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة

لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل

مع الله الها اخر الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم

لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه

الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل

مع الله الها اخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شي

موعظة وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل الله عز وجل فاتحتها

وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمة وملاكها

ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك

بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين

الله اضل من النعم افاصفيكم خطاب للذين قالوا الملائكة

بنات الله والهمزة للانكار يعني اخصكم ربكم على وجه الخلوص

والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه

واتخذ ادونكم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم
وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها من الشوب
ويكون اردأها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم
اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون
له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملئكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم ادون خلق
الله وهم الاناث ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن
ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد
صرفنا القول في هذا المعنى اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير
ويجوز ان يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا
المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا
بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا ومخففا اي كررناه ليتعظوا
ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم الا نفورا عن الحق
وقلة طمأنينة اليه وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادني لك خضوعا
ما زاد اعداءك نفورا كما تقولون بالتاء والياء واذن دالة على
ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو
ومعنى لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية
سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة
من

هذا صح

من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد
مما وصفوه به المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع
وعلى قدرته وحكمته فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه من
الشركاء وغيرها **فان قلت** فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم **قلت** الخطاب للمشركين
وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات قالوا الله الا انهم لما
جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة
النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح
ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق **فان قلت** من فيهن يسبحون
على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض
فما وجهه **قلت** التسبيح المجازي في الجميع فوجب الحمل عليه والا
كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان
حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم
بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام
وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه
حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف
يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرأت
القرآن جعلنا على زعمهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا

حاصله

افعم الوادي اذا ملاه

على قلوبهم اكنة تنبيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه
يقال وجد يجد وجدا وجدة كوعد يعد وعدا وعدة و وحده من باب
رجع عوده على بدئه و افعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال
اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر
كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا
بالتوحيد نفروا بما يستمعون به من الهزء بك وبالقران ومن اللغو كان
يقوم عن يمينه رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره
فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع
الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين ولذا يستمعون نصب باعلم
اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون وبما يتناجون
به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو
من السحر وهو الرئة اي هو بشر مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر
والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا
يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع لما قالوا ائذا كنا
عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على
احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال
الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان
العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي بني عليه سائره فليس
ببدع ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء عن

الحيوة

قوله كونوا على توهم كنتم كانه قيل كونوا حجارة او حديدا

الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة
يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان
يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني او خلقا
مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق
احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل
السموات والارض فسينغضون فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء
والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين
منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي
مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بركوب ما يشق عليه
عليه وتقسره قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد
عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم و
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون وترون الهول فعنده
تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم
وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الآخرة وقل
لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن
والين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي
هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم
يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار
وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله

عين

إن الشيطان ينزغ إغراض بعض يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض
لتقع بينهم المشارة والمشاقة وما أرسلناك عليهم وكيلا أي ربا موكولا
إليك أمرهم تقسرهم على الإسلام وتجبرهم عليه وإنما أرسلناك بشيرا
ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والإحتمال وترك المحاقة والمكاشفة
وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل
فأمره الله بالعفو وقيل أفرط إيذاء المشركين للمسلمين فشكوا إلى
رسول الله فنزلت وقيل الكلمة التي هي أحسن أن يقولوا يهديكم الله يرحمكم
الله وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون هو رد
على أهل مكة في إنكارهم واستبعادهم أن يكون يتيم أبي طالب نبيا وأن يكون
العراة الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون أن يكون ذلك
في بعض أكابرهم وصناديدهم يعني وربك أعلم بمن في السموات والأرض
وبأحوالهم وبمقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض إشارة إلى تفضيل رسول الله وقوله وآتينا
داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأن أمته خير
الأمم لأن ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وأمته
فإن قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت
يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن يريد
وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله

عليه من الزبور فسمى ذلك زبورا لأنه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا
هم الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب
ثم أسلم الجن ولم يشعروا الذين ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر
من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر أو يبدلوه وأولئك
مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني أن آلهتهم أولئك
يبتغون الوسيلة وهي القربة إلى الله تعالى وأيهم بدل من واو يبتغون وأي
موصولة أي يبتغي من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة إلى الله فكيف بغير
الأقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم
يكون أقرب إلى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون
كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة إن عذاب ربك كان
حقيقا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم
نحن مهلكوها بالموت والاستئصال أو معذبوها بالقتل وأنواع العذاب
وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب
الضحاك بن مزاحم في تفسيرها أما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع
والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما
خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ
استعير المنع لترك إرسال الآيات من أجل صارف الحكمة وأن الأولى
منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب
الأولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن

إحياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب
إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى وما صرفنا عن إرسال
ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على
قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وقالوا هذا
سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا
أن نؤخر أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي
اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهي ناقة صالح
لأن آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم
مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالآيات
إن أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها إلا تخويفا من نزول العذاب
العاجل كالطليعة والمقدمة له فإن لم يخافوا وقع عليهم وإن أراد غيرها
فالمعنى وما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفا وإنذارا
بعذاب الآخرة وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس واذكر إذ أوحينا إليك أن
ربك أحاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم
الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله
كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على عادته في أخباره وحين
تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه في العريش مع أبي
بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ثم خرج
وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى

أراه

أراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني
أنظر إلى مصارع القوم وهو يومئ إلى الأرض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع
فلان فتسامعت قريش بما أوحي إلى رسول الله من أمر بدر وما أري في منامه
من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء
وحين سمعوا بقوله إن شجرة الزقوم طعام الأثيم جعلوها سخرية وقالوا
إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجرة وما قدروا الله
حق قدره من قال ذلك وما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله
النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل إذا اتسخت
طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى
النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر بإحماء النار فلا تضرها ثم أقرب
من ذلك أنه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما أنكروا أن يخلق في النار
شجرة لا تحرقها والمعنى أن الآيات إنما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد
خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما أريناك منه في منامك بعد
الوحي إليك إلا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وشجرة
الزقوم فما أثر فيهم ثم قال ونخوفهم أي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم
التخويف إلا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون
من الآيات وقيل الرؤيا هي الإسراء وبه تعلق من يقول كان الإسراء
في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل إنما سماها رؤيا
على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل إليك استبعادا

لهم

منهم كما سمى أشياء بأسمائها عند الكفرة نحو قوله فراغ إلى آلهتهم أين شركائي ذق
إنك أنت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه أنه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام
أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فإن قلت
أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن طاعموها
من الكفرة والظلمة لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وإنما وصفت
باللعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لأن اللعن الإبعاد من
الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل
طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب
الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تتلوى بالشجر تجعل في الشراب
وقيل هي الشيطان وقيل أبو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على أنها
مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك طينا حال
إما من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين
أو من الراجع إليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا
أرأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا
الذي كرمته علي أي فضلته لم كرمته علي وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف
ذلك ثم ابتدأ فقال لئن أخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف لأحتنكن
ذريته لأستأصلنهم بالإغواء من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها
أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أي آكلهما
فإن قلت من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت

إما أن يسمعه من الملائكة صلوات الله عليهم وقد أخبرهم الله به أو خرجه
من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أو نظر إليه فتوسم في مخايله أنه خلق
شهواني وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته في آدم والظاهر أنه قال ذلك
قبل أكل آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء
وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره
سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم كما قال موسى صلى الله
عليه للسامري فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس فإن قلت
أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من
تبعك قلت بلى ولكن التقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب
المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون للتابعين على طريقة
الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون
أو بإضمار تجازون أو على الحال لأن الجزاء موصوف بالموفر والموفر
الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزه استخفه والفز الخفيف
وأجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله يا خيل
الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك
على أن فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه
أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس وأخوات لهما يقال رجل
رجل وقرئ ورجالك ورجالك فإن قلت ما معنى استفزاز إبليس بصوته
وإجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله

في تسلّطه على من يغويه بمغوارٍ اوقع على قومٍ فصوّت بهم صوتًا يستفزّهم
من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالته ورجالته
حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب
وماشٍ من اهل العيث وقيل يجوز ان تكون لابليس خيل ورجال واما
المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربوا والمكاسب
المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصّل
الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولدٍ بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد
الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة
وغير ذلك وعِدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله
بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على
الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حُممًا و
ايثار العاجل على الآجل ان عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان
اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك
ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين **فان قلت** كيف جاز ان يأمر الله
تعالى ابليس بان يتسلط على عباده مغويًا مضلًّا داعيًا الى الشر صادًّا عن
الخير **قلت** هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية
كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم يزجي يجري ويسيّر والضرّ خوف الغرق
ضلّ من تدعون الا اياه ذهبت عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه
في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا

٢٥٦

تعتمدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على
اغاثتكم او لم يهتد لانقاذكم احدٌ غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد
ضلّ من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه
وحده على الاستثناء المنقطع افأمنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على
محذوف تقديره انجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض **فان قلت**
بم انتصب جانب البر **قلت** بنخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا
به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان نخسف جانب البر اي نقلبه وانتم
عليه **فان قلت** فما معنى ذكر الجانب **قلت** معناه ان الجوانب
والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب البحر وحده مختصًا بذلك بل
ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف
لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر
عنده سيّان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان
يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم
حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني ان لم يصبكم
بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم
فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر من يتوكل بصرف
ذلك عنكم ام امنتم ان يقوّي دواعيكم ويوفّر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا
البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفًا وهي
الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل

برًّا كان او بحرًا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب

خسف الله به الارض خسفًا اي غاب به فيها

وكيلا

التي لا تمر بشيء إلا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء أي الريح وبالنون وكذلك نخسف
ونرسل ونعيدكم وقرئ بالياء والنون التبيع المطالب من قوله تعالى فاتباع
بالمعروف أي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع فقال فلان
على فلان تبيع بحقه أي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى أنا نفعل ما نفعل
بهم ثم لا تجدوا أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا وهذا
كقوله ولا يخاف عقباها. بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد إعراضهم حين نجاهم قيل في
تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة
والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في
الأرض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم وعن الرشيد أنه أحضر
طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس
قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق
فردها وأكل بأصابعه. على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات
الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم
عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى
جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الإنسان على الملك وذلك
بعد ما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا أين أسكنهم
وأنى قربهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم ثم جرهم فرط
التعصب عليهم إلى أن لفقوا أقوالا وأخبارا منها قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت
بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال

وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان
ورووا عن أبي هريرة أنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده
ومن ارتكابهم أنهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا
الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على أن
معنى قولهم على جميع ممن خلقنا أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون
فانظر إلى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الأعلى
كأن جبريل غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل
عن قلوبهم. وقرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على البناء للمفعول
وقرأ الحسن يدعو كل أناس على قلب الألف واوا في لغة من يقول
أفعو والظرف نصب بإضمار اذكر ويجوز أن يقال إنها علامة الجمع كما في
وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون
قلة مبالاة بها لأنها غير ضمير ليست إلا علامة. بإمامهم بمن ائتموا به
من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان
يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب
الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير أن
الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة
في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى وإظهار شرف الحسن والحسين
وأن لا يفتضح أولاد الزنى وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته
فمن أوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم قيل أولئك

لان من أوتى في معنى الجمع **فإن قلت** لم خص أصحاب اليمين
بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم **قلت**
بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء
على جناياته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به والانتقام منه من
الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف
الكلام والذهاب عن تسوية القول فكأن قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب
اليمين فأمرهم على عكس ذلك لاجرم [illegible] وأنهما
[illegible] يتعتعون بقراءتهم وحذقهم حتى يقول القارئ لأهل [illegible] هاؤم
اقرؤا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء كقوله
ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما معناه ومن كان في الدنيا
أعمى فهو في الآخرة أعمى كذلك وأضل سبيلا من الأعمى والأعمى مستعار
ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة
أما في الدنيا فلفقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد
جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول
ممالا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم
الواقعة في وسط الكلام كقولك أعمالكم وأما الأول فلم [illegible]
فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة روي أن ثقيفا قالت
للنبي صلى الله عليه لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على
العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلواتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا

علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند
رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب
لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا
يجبون فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب
ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال أسعرتم
قلب نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم إياك إنما
نكلم محمدا فنزلت وروي أن قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية
عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وإن كادوا ليفتنونك
إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى إن الشأن
قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك فاتنين عن الذي أوحينا اليك
من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا لتتقول علينا
ما لم نقل يعني ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما
اقترحته ثقيف من أن يضيف الى الله ما لم ينزل عليه وإذا لاتخذوك
أي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي
ولولا أن ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم
لقاربت أن تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت
وفي ذلك لطف للمؤمنين إذا لو قاربت تركن اليهم أدنى ركنة
لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أي لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر

مضاعفين. فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت
اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان
عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الآخرة وهو عذاب
النار والضعف يوصف به كقوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا في النار يعني
مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا
في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف
ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات
كما لو قيل لاذقناك اليم الحياة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحيوة
عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب
القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة
في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت. وفي ذكر الكيدودة وتقليلها
مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين
على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته
ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة
المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى
مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه
ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة
بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن
النبي صلى الله عليه انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان

ايعذاب الحيوة وعذاب الممات

وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم
من الارض من ارض مكة واذا لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا
فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل
معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن آخرهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر
ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه حين هاجر
حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبيا
انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت
الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان
كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله على اميال من المدينة
وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام
لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة
ابي لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القراءتين قلت
اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل
في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذا لا يلبثوا
عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك
عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا
اي بعدهم سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من
بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن
الله ذلك سنة دلوك الشمس غروبها وقيل زوالها وروي عن النبي صلى الله عليه

لا يبقون ح

اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه
من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك
الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها
الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقرآن
الفجر صلوة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا
وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن ابي علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست
بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار تنزل هؤلاء وتصعد هؤلاء
فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين
في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن
الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن
فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك
بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ويقال في النوم والتهجد
ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات
الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة
يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة
عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف
اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى
يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود
المقام الذي يحمد القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب

الحمد

الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله
وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع
الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع
الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه فيقول
لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك
وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب
البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقرئ مدخل ومخرج
بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق
اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من
السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة
آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين
امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله
مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل
ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم
الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط
وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر
ومكان سلطانا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا
ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله

يَعصمك من الناس الا انّ حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنّهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه انه استخلف عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدًا على المريب لينًا على المؤمنين وقال لا والله لا اعلم متخلفًا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيًا جافيًا فقال صلى الله عليه اني رايت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالًا شديدًا حتى فتح له فدخلها فاعزّ الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم لكل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبائل العرب يحجّون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك نوبة جديدة فاملأك خدودًا سجدًا يدفّون اليك دفيف النسور ويحنّون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الاية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله خذ مخصرتك ثم القها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى

القاها

القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد وشكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القران من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمومنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا الا نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد الياس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون من ناء

بمعنى نقص قل كل يعمل على شاكلته اى على مذهبه وطريقته
التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهى
الطرق التى تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
اى اسد مذهبا وطريقة الاكثر على انه الروح الذى فى الحيوان سألوه
عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اى مما استأثر بعلمه وعن ابن عباس
لقد مضى النبى صلى الله عليه وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحانى
اعظم من الملك وقيل جبرئيل وقيل القرآن ومن امر ربى اى من وحيه
وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن
اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها
او سكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو
نبى فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التورية فندموا
على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام وروى ان رسول الله لما قال
لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال
بل نحن وانتم لم توتوا من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شأنك ساعة
تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا
فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم
لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشى بالقلة مضافا
الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التى اوتيها العبد
خير كثير فى نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهى قليلة وقيل هو

خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه قد اوتينا التورية
وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فقيل لهم
ان علم التورية قليل فى جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف
مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى
ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم
نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدرى ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد
الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا
الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل
عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك
تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن
محفوظا بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذى علم
ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه
بحفظ العلم ورسوخه فى صدره ومنته عليه فى بقاء المحفوظ وعن
ابن مسعود رضى الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة
وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا
القران لتصبحون يوما وما فيكم منه شى فقال رجل كيف ذلك
وقد اثبتناه فى قلوبنا واثبتناه فى مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه
ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع
المصاحف وينزع ما فى القلوب لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا

اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي
ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل
هذا القران في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة
ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن
زعمهم ان القران قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث
تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون
عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني
القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك
لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان
يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس مالهم المكابرة و
قلب الحقائق . ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل
من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود
فان قلت كيف جاز فأبى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا
قلت لان أبى متأول بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا لما تبين
اعجاز القران وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة
وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر
في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ تفجر
بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شأنها
ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت
يعنو

يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من
السما وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحها قبيلا
كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا
كقوله كنت منه ووالدي بريا واني وقيار بها لغريب او مقابلا كالعشير
بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا او جماعة حالا من
الملئكة من زخرف من ذهب في السما في معارج السما فحذف المضاف
يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لاجل رقيك
حتى تنزل علينا كتابا من السما فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله
ابن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السما سلما ثم ترقى فيه وانا انظر
حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملئكة يشهدون
لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج
ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في
قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا
الآية الباقية التي هي القران وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه
بل هي اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان
ربي اي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت
الا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما
يظهر الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله فما
بالكم تتخيرونها علي ان الاول نصب مفعول ثان لمنع والثانية

رفع فاعل له والهدى الوحي اى وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد
صلى الله عليه الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل
الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر
عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء
ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس
ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه
مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل
الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت
هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت
وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما
ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين
خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذا تسلية لرسول الله ووعيد
للكفرة وشهيدا تمييز او حال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف
به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن
يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون
في النار على وجوههم وقيل لرسول الله كيف يمشون على وجوههم قال
ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا
وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامّون

ويتصامّون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك ويجوز ان يحشروا مؤفي
الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤون
ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها
بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد
الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها
ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على
تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله
ذلك جزاؤهم الى قوله ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت
علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان
المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض
فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما
قال انتم اشد خلقا ام السماء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت
او القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا لو حقها ان تدخل
على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره
لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من
الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به
من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه
الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان
انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح

المبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير
اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام
في صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ
هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين
اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن
الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا **فان قلت** هل يقدر لامسكتم
مفعول **قلت** لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك عن
ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر
والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون
ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سال
محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا
اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين
وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال
ان بعض اليهود سال رسول الله عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى
ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء
الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا
يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسئل بني اسرائيل فقلنا له سل
بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايما

ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم
معك وتدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه فسال بني اسرائيل على
لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين
من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات ليزداد
يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى
واثبت كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي **فان قلت** بم تعلق
اذ جاءهم **قلت** اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا
له سلهم حين جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على الآخر فباتينا
او باضمار اذكر او يخبرونك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم مسحورا سحرت
فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات
الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر
ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمتُ بالضم
على المعنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه
الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه
قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك
لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك
لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك
مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا
مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك

وصدقك وقرأ ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة
واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفز موسى وقومه من ارض
مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال
فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض
التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة يعني قيام
الساعة جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم
ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى
وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية
لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل
خير او ما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما
نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك
الا مبشرا لهم بالجنة ونذيرا لهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه
على الدين او نحو ذلك وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرأ
ابي فرقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس
انه قرأه مشددا وقال لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله
وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب
على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا
على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم
واحتقارهم والازدراء بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم

عنه

عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية
وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا
ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي
الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره
ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه
وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا
ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين
فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا
قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا او لا تؤمنوا وان يكون
تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله وتطييب نفسه كانه قيل
تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به
لقد آمن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى الخرور للاذقان
قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين
لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فان قلت
حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام
في خر للذقن ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت
معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص
فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف
الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين

عن ابن عباس رضي الله عنه سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن
فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب
قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التورية هذا الاسم فنزلت والدعاء
بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم
تترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما
سموا بهذا الاسم او بهذا الاسم واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في
ايا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين
الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد
الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات
لا للاسم والمعنى اياما تدعو فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى
لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها
احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم بصلاتك
بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة
صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان
رسول الله يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر
بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت
حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان
ابا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي
وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ

الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر
بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر
بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب
قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل
مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له
منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته
فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة
التحميد قلت لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة
فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه اذا افصح الغلام من بني
عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة
بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة
والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية سورة الكهف مكية وهي مائة
واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقن الله عباده ووفقهم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه
عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه من
الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له
شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي
الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة

فإن قلت بم انتصب قيما قلت الأحسن أن ينتصب
بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لأن قوله ولم يجعل معطوف على أنزل فهو
داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي
الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لأنه إذا نفى عنه
العوج فقد أثبت له الاستقامة فإن قلت ما فائدة الجمع بين نفي
العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر قلت
فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج
عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا
وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما أنذر
متعد إلى مفعولين كقوله إنا أنذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على أحدهما
وأصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله بعذاب
بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة من لدنه صادرا
من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون
ويبشر بالتخفيف والتثقيل فإن قلت لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر
قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق إليه فوجب الاقتصار
عليه والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله
أن لهم أجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والأجر الحسن الجنة
ما لهم به من علم أي بالولد أو باتخاذه يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم

ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان
وتسويله فإن قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل
ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لأنه ليس
مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه
وإما لأنه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به وقرئ كبرت كلمة وكلمة
بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب أقوى وأبلغ وفيه
معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة وتخرج من أفواههم صفة
للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم
فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم
من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به ويطلقوا به ألسنتهم بل
يكظمون عليه تشورا من إظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت
بسكون الباء مع إشمام الضمة فإن قلت إلام يرجع الضمير في كبرت
قلت إلى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة
بها شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد
والأسف على توليهم برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات
على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع
نفسك على الأصل وعلى الإضافة أي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال
فيمن قرأ إن لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ أن لم يؤمنوا بمعنى لأن لم يؤمنوا
بهذا الحديث بالقرآن أسفا مفعول له أي لفرط الحزن ويجوز أن يكون

حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف انا جعلنا
ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا
وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها
وترك الاغترار بها ثم زهّد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها
من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضا لا نبات فيها
بعد ان كانت خضرا معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه
وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات
والاشجار ونحو ذلك ذكر من الايات الكلية تزيين الارض بما خلق
فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن
ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء
حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم
كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا
وصيدهم والقوم في الكهف همّد وقيل هو لوح من رصاص رقمت
فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم
نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل
قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا اية
عجبا من اياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة
من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء
وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون

بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت
منك اسدا فضربنا على اذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع
يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تصلح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول
الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة
سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة
الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج
اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج ان يعد
اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم
وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه
وفاعل يعلم مضمون الجملة كانه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين
منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل
منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم و
كان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد
تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي
ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم **فان قلت** فما تقول فيمن جعله
من افعل التفضيل **قلت** ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه
من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس
من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القران ممتنع فكيف
به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل وافعل لا يعمل واما ان

يلبثوا فلا يتسدد عليه المعنى فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل
عليه أحصى كما أضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا على
نضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت
أن يكون أحصى فعلاً ثم رجعت مضطراً إلى تقديره وإضماره
فإن قلت كيف جعل الله تعالى العلم بإحصائهم المدة
غرضاً في الضرب على آذانهم قلت الله عز وعلا لم يزل
عالماً بذلك وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا
إيماناً واعتباراً ويكون لطفاً لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره
وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها
بالصبر على هجر الأوطان والنعيم والفرار بالدين إلى بعض الغيران
وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام إذ قاموا
بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على
ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والأرض شططاً
قولاً ذا شطط وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه من شط إذا بعد
ومنه أشط في السوم وفي غيره هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان
واتخذوا خبر وهو إخبار في معنى إنكار لولا يأتون عليهم هلا
يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت
لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال وهو دليل على
فساد التقليد وأنه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت

افترى على الله كذباً بنسبة الشريك إليه وإذ اعتزلتموهم خطاب
من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما
يعبدون نصب عطفاً على الضمير يعني وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم
معبوديهم إلا الله يجوز أن يكون استثناء متصلاً على ما روي أنهم
كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة وأن يكون منقطعاً
وقيل هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم
يعبدوا غير الله مرفقاً قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق
به أي ينتفع إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم
عليه ونصوع يقينهم وإما أن يخبرهم به نبي في عصرهم وإما أن
يكون بعضهم نبياً تزاور أصله تتزاور فخفف بإدغام التاء في الزاي
أو حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها
من الزور وهو الميل ومنه زاره إذا مال إليه والزور الميل عن الصدق
ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين
تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة
إلى ظعن يقرضن أقواز مشرف شمالاً وعن أيمانهن الفوارس
وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى أنهم في ظل نهارهم
كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا في غروبها مع أنهم في مكان
واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم
وقيل في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم

ولا يخشون كرب الغار ذلك من آيات الله اى ما صنعه الله بهم من
ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعنى ان
ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم
بالكرامة وقيل باب الكهف شمالى مستقبل لبنات النعش فهم فى
مقناة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من
آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا
فى الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم
الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة
وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذى
اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان
فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم بكسر
السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد
فى نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا
وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة
فى يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم
على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا
كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرأ جعفر الصادق وكالبهم
اى وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم
الفاعل لا يعمل اذا كان فى معنى المضى واضافته اذا اضيف حقيقية معر

معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد
الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد بارض فضاء
لا يسد وصيدها على ومعروفى بها غير منكر وقرئ ولملئت
بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا
بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذى يرعب الصدر اى يملؤه
وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم
وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معوية انه غزا الروم
فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال
له ابن عباس رضى الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى
من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال
معوية لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث ناسا فقال لهم اذهبوا
فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا
فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما
انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة
والبعث جميعا ليتساءل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع
الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا
يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم جواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل
على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا

وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكارٌ
عليهم من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا
بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها
مبهم لا يعلمه الا الله وروى انهم دخلوا الكهف غدوة وكان
انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول
اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان قلت كيف
وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت كأنهم
قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما
يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه
الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من
ورق فانتن فامره رسول الله ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم
بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم
بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر
الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين
لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم
من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر
هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات
وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة
رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق

عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان
شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله ويعوزه منه ذلك
وكانت حينا يسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه
فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم
فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد
الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي اهلها فحذف الاهل
كما في قوله واسأل القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر
وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره
من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف
ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه
الى الشعور بنا فسمي ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير
في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث
القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم
في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة
اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل
ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا
عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم
ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث
لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث

وإذ يتنازعون متعلق بأعثرنا أي أعثرناهم عليهم حين يتنازعون
بينهم أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث
الأرواح دون الأجساد وبعضهم تبعث الأجساد مع الأرواح
ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد تبعث حية حساسة
فيها أرواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله
أصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا أي على باب كهفهم لئلا يتطرق
إليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة
رسول الله صلى الله عليه بالحظيرة قال الذين غلبوا على
أمرهم من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن
على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم
وقيل إذ يتنازعون بينهم أمرهم أي يتذاكر الناس بينهم أمر
أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما أظهر الله من الآية
فيهم أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون
مكانهم وكيف يسدون الطريق إليهم فقالوا ابنوا على باب
كهفهم بنيانا روي أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت
ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد
في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك
وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه
ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فأنطقه الله فقال

ما تريدون مني أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم
وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف
فكانوا يعبدون فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل أن يبعثهم
الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته
في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه
ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى
الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه
حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام
وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد
كنزا فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك و
أهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على
البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من
شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم
فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من
ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج
وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين
كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم
ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو هو
من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من أولئك

المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام اوفى الذين
تنازعوا فيهم على عهد رسول الله من اهل الكتاب سيقولون
الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله عليه السلام من اهل
الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله عنهم فأخر الجواب الى ان
يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم
وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس
رضي الله عنه انا من اولئك القليل وروى ان السيد والعاقب و
اصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه فجرى ذكر
اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة
رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة
سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم
فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول
الله عن لسان جبرئيل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر
اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلا اصحاب يمين الملك و
كان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان
يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم
لما هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم
قطمير فان قلت لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون
الآخرين قلت فيه وجهان ان تدخل الآخرين في حكم

السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا
وان تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب
رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون
به او وضع الرجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم
فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير
وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم
بادغام الثاء في التاء نيث وثلاثة خبر مبتدإ محذوف اي هم ثلاثة
وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدإ وخبر
واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فان
قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت
عليها دون الاوليين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة
الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في
نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف
ومنه قوله عز وعلا وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان
اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت
بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم
وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه
ان الله سبحانه اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع

القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي
الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق
بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم
كلبهم على القطع والثبات وقيل الا قليل من اهل الكتاب
فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على
ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان
اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص
عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم
ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن
ولا تستفت ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له
حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف
ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله
قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء ولا تقولن
لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل
من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله متعلق
بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان شاء
الله كان معناه الا ان تعترض مشية الله دون فعله وذلك
ما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا
تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه
واذنه

والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيته وهو في موضع
الحال يعني الا ملتبسا بمشية الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث
وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا
ونحوه قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم
في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا نهي تاديب من الله لنبيه حين
قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف
وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن
فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك
اي مشية ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك
والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر
وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن
جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو
على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطا يستثني
على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له
في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا
حنيفة خالف ابن عباس في الاستثنا المنفصل فاستحضره لينكر
عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة
بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك
فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك

بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في
البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض
ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي
وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نبأ
اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج
على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من
نبأ اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء
والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان
يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه
ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه
رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله
او ننسها نأت بخير منها ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين يريد
لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما
اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى
قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم
بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية لكلام
اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله
وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة
سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله

بالاخسرين اعمالا وفي قراءة ابي ثلثمائة سنة تسعا تسع سنين
لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات
والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو
وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمسموعات
والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما
عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء
واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك
البواطن كما يدرك الظواهر ولا يشرك في حكمه في قضائه
احدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي
كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل
له واتل ما اوحي اليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من
طلب التبديل فلا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد
على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا
بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ
تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من رؤساء الكفرة
لرسول الله نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن
وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى
نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون
فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع
بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد
صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود لان
غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تاويل التنكير
كما قال والزيد زيد المعارك وهو قليل في كلامهم نفاك عداه
اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاني القوم عدا زيدا وانما
عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه
عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان
قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم
عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء
مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف
رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم
ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها
اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينك ولا تعد عينيك من
اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما
ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى نهي رسول الله
ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم
طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا
في موضع الحال من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر

بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقوله اجبنته وافحمته وابخلته
اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه
بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد
ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا
قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين
من اغفلته اذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا
له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل قل الحق
من ربكم الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت
العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ
في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه
لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور بان يتخير ما
شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق
وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو
سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار
وقيل حائط من النار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله
فاعتبوا بالصيلم وقيل تهكم والمهل ما اذيب من جواهر
الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب
انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه هو كعكر الزيت
فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك

وساءت مرتفقا متكأ من المرفق وهذا المشاكلة قوله حسنت
مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله
الى ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب
مذبوح اولئك خبران وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل
انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستانفا
بيانا للاجر المبهم وان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير
الراجع منه الى المبتدا قلت من احسن عملا والذين
امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام
الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان
بدرهم من الاولى للابتدا والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام
امرها في الحسن وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج
وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص
الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم
مثلا رجلين اي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين
وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر
مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات
في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية
آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن
اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا

في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني
اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة
بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه
خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان
المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه
على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق
بماله وقيل هما مثلان لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو
ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد وكان زوج ام سلمة قبل
رسول الله وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد جنتين من
اعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا
النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم
ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا اطافوا
به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول
واحد فتزيد الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به
وجعلنا بينهما زرعا جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه
ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها
ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء
الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من
امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري
فيها

وثمر اكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص وآتت
حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا
على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله كل
الجنتين آتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي انواع
من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة
اى كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب
والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة
الارض كيف شاء واعز نفرا يعنى انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا
لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من
حار يحور اذا رجع وسألته فما احار كلمة يعنى قطروس اخذ بيد
المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما
ويفاخره بما ملك من المال دونه **فان قلت** لم افرد الجنة
بعد التثنية **قلت** معناه ودخل ما هو جنته ما له
جنة غيرها يعنى انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما
ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدا منهما
وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض
بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك
في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته
واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر

الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان
السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى
ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض
والتقدير وكما يزعم صاحبه لاجدن في الآخرة خيرا من جنته
في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته
عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستئهاله وان
معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى
لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا
مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اى منقلب تلك خير من
منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب
اى خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه
خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال
جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما
يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا
فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان
فكان الادغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف اى انت مذنب
وتقلينني لكن اياك لا اقلي اى لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان
والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير
وقرأ ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا

وحسّن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره
لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنّه
وقرئ لكنْ هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرأ ابيّ
بن كعب لكنْ انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكنْ انا
لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت
لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحّد
كما تقول زيد غايب لكنّ عمرا حاضر ما شاء الله يجوز ان
تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف
تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف
بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في
قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند
دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا
بانها وكل خير فيها انما حصل بمشية الله وفضله وانّ امرها
بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خرّبها وقلت لا قوة
الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها
هو بمعونته وتاييده لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده
الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حايطه ايام الرطب
فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج من
قرأ اقلّ بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا

واقل

واقلُّ خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة
لمن فسّر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر
منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من
الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك
لكفرك نعمته ويخرّب بستانك والحسبان مصدر كالغفران
والبطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدّره الله وحسبه وهو
الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان
حساب ما كسبت يداك وقيل مرامي الواحدة حسبانة
وهي الصواعق صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها
لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط به
عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا
احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه
قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه
من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا لهم وتقليب الكفين
كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا
لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه
في معنى الندم عدّي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم
على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها وهي خاوية على
عروشها يعني ان كرومها المعرّشة سقطت عروشها على الارض

وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها
يا ليتني تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه
فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون
توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان
وقرى ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ
كقوله فئة يقاتل في سبيل الله واخرى كافرة فان قلت
ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدر
على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر
احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه
ان يخذله وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن
انتقام الله الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك
وقد قرى بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة
لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا
لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك
السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل
تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان
قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجي اليها فقالها جزعا
مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى
هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم
ويشفي

وشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه ينصر فيما فعل بالكافر اخا
المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك و
يرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا
وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة
اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرى الحق بالرفع
والجر صفة للولاية والله وقرا عمرو بن عبيد رحمه الله عليه
وهو حسن بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق
لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد
من افصح الناس وانصحهم وقرى عقبا بضم القاف وسكونها
وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط به نبات
الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا
وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي
ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط
بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف
كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم
الواحدة هشيمة وقرى تذروه الريح وعن ابن عباس
تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها
وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر
وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله

على كل شئ من الانشاء والافناء مقتدرا الباقيات الصالحات
اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه
نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل
سبحن الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما
اريد به وجه الله خير ثوابا اي ما يتعلق بها من الثواب وما
يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها
يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الاخرة وقرئ تسير من
سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت اي تسير في الجو او
يذهب بها بان تجعل هباء منبثا وقرئ وترى الارض على البناء
للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم
وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره
واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل
وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين
ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد
جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب
في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم
كما انشاناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شئ معكم كما خلقناكم
اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى فان قلت لم جئ بحشرناهم
ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم

قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كانه
قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على
السنة الانبياء من البعث والنشور الكتاب للجنس وهو صحف
الاعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة
من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا
كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي
الا احصاها اي احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا
كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد واما كانت
عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر
وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة
القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا
وعن الفضيل كان اذا قراها قال ضجوا والله من الصغائر
قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا
ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك
احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق
او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال
المشركين بذنوب آبائهم كان من الجن كلام مستانف
جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين
كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق

عن امر ربه والفاء للتسبب ايضا جعل كونه من الجن سببا
في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لادم لم يفسق
عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز
على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وعلا لصيانة الملائكة
عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله
وبين قول من ضاد فزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة
فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق
عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود قال
فواسقا عن قصدها جوائرا او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه
الذي هو قوله اسجدوا لادم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجيب
كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من
دوني وتستبدلونهم بي بئس للظالمين بدلا من الله ابليس لمن
استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم
يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون
شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية
بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في
خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض
كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين بمعنى وما

وهو نظيره من حيث ان انفسكم بمعنى بعض انفسكم

كنت

كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير
ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم
تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب
لرسول الله والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك
ان تعتز بهم وقرا علي رضي الله عنه وما كنت متخذا المضلين
بالتنوين على الاصل وقرا الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها
الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون العين وعضدا بضمتين
وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من
عضده اذا قواه واعانه يقول بالياء والنون واضافة الشركاء
اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من
وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه
غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم
واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد
مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى
عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا
بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم
في الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى
ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا
بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم

كانت ... الشوط ... الاشواط ... غاية

وهم في اعلى الجنان فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها
واقعون فيها مصرفا معدلا قال ازهير هل عن شيبة
من مصرف اكثر شيء جدلا اكثر الاشيا التي يتاتى منها الجدل
ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل و
وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من
جدل كل شيء وكونه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى نصب
والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس
الايمان والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي
الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة قبلا
عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا
ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها عن
موطئها وما انذروا يجوز ان تكون ما موصولة ويكون الراجع
من الصلة محذوفا اي وما انذروه من العقاب او مصدرية
بمعنى وانذارهم وقرئ هزءا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء
وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل
ملائكة وما اشبه ذلك بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها
الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين
ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي
غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء
ثم

ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم
وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا
فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم
ابدا مدة التكليف كلها واذن جزاء وجواب فدل على
انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب
ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه
وعلى انه جواب للرسول عن تقدير قوله ما لي لا ادعوهم
حرصا على اسلامهم فقيل له وان تدعهم الى الهدى فلن
يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة
ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا
من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله بل لهم
موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا
ملجأ ثم يقال وأل اذا التجأ اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين
مثل ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك
مبتدا والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء
الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى
نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب
القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة عنه وجعلنا
لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون

عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته
وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة
اى لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر لفتاه
لعبده وفى الحديث ليقل احدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى
وامتى وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان
يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم وان قلت
لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل
على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر
قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال
والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال
سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين
غاية مضروبة تستدعى ما هى غاية له فلا بد ان يكون
المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر
وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى
ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه
وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى
لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا
ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه
ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول ~~لا ابرح اسير حتى ا~~

مجمع كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذى وعد فيه
موسى لقاء الخضر عليه السلام وهو ملتقى بحرى فارس والروم
مما يلى المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير
ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين فى العلم وقرئ
مجمع بكسر الميم وهو من الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع
من يفعل او امضى حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب
ثمانون سنة روى انه لما ظهر موسى على مصر مع بنى اسرائيل
واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة
فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم
وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاى الناس اعلم قال انا
فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل
اعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر
فى ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذى القرنين
الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اى
عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال
فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان
يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان
فى عبادك من هو اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر
قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب

كيف لي به قال تأخذ حوتًا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك
فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان
ورقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت
الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر
فأتيا الصخرة فاذا رجل مسجّى بثوبه فسلّم عليه موسى فقال
وأنّى بأرضنا السلام فعرّفه نفسه فقال يا موسى انا على
علم علّمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علّمكه الله لا اعلمه
انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في
الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار
ما اخذ هذا العصفور من البحر   نسيا حوتهما اي نسيا
تفقّد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة
وقيل نسي يوشع ان يقدّمه ونسي موسى ان يامره فيه
بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل
الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة
ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت
وروي انهما اكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين
فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء سربًا امسك
الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل
منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر   فلما جاوزا الموعد

وهو

وهو الصخرة لنسيان موسى تفقّد امر الحوت وما كان منه
ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه
في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر
وألقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب
ولا جاع قبل ذلك فتذكّر الحوت وطلبه   وقوله من سفرنا
هذا نصبا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة   فان قلت
كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة
التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة
السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة مملوحة
وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب
منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلّفا الموعد وسارا
مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام
الحوت   قلت   قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب
بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضمّ الى ذلك
انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى من العجائب واستأنس
باخواته فاعان الالف على قلة الاهتمام   أرأيت بمعنى اخبرني
فان قلت   ما وجه التئام هذا الكلام فان كل واحد
من أرأيت واذ أوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له
قلت   لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه

وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل
موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني اذ اوينا
الى الصخرة فانى نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هى
الصخرة التى دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء
فى انسانيه اى وما انسانى ذكره الا الشيطان وفى قراءة
عبد الله ان اذكركه وعجبا ثانى مفعولى اتخذ مثل
سربا يعنى واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه
السرب او قال عجبا فى آخر كلامه تعجبا من حاله فى رؤية
تلك العجيبة ونسيانه لها او مما رأى من المعجزتين
وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا
حكاية لتعجب موسى وليس بذاك قال ذلك اشارة الى
اتخاذه سبيلا اى ذلك الذى كنا نطلب لانه امارة الظفر
بالطلبة من لقاء الخضر ما كنا نبغ بغير ياء فى الوصل
واثباتها احسن وهو قراءة ابى عمرو واما الوقف فالاكثر
فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا
فى آثارهما قصصا يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما
اتباعا او فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هى
الوحى والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الا

الاخبار عن الغيوب رشدا اى بفتحتين وبضمة وسكون
اى علما ذا رشد ارشد به فى دينى فان قلت اما دلت
حاجته الى التعلم من آخر فى عهده انه كما قيل موسى
بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبى يجب ان يكون
اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه فى ابواب
الدين قلت لا غضاضة بالنبى فى اخذ العلم
من نبى مثله وانما يغض منه ان يأخذ ممن دونه
وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن
امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان
موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله نفى استطاعة
الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل
ذلك بانه يتولى امورا هى فى ظاهرها مناكير والرجل الصالح
فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع
اذا رأى ذلك وياخذ فى الانكار وخبرا تمييز اى لم يحط
به خبرك او لان لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب
المصدر ولا اعصى فى محل النصب عطف على صابرا اى ستجدنى
صابرا وغير عاص او لا محل عطفا على ستجدنى رجا موسى
عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه
صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة الامر فوعده

الصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان
الحمية التى تاخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شىء لا يطاق
هذا مع علمه ان النبى المعصوم الذى امره الله بالمسافرة اليه
واتباعه واقتباس العلم منه برئ من ان يباشر ما فيه
غميزة فى الدين وانه لابد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن
جميل فكيف اذا لم تعلم قرئ فلا تسالنّى بالنون الثقيلة يعنى
فمن شرط اتباعك لى انك اذا رايت منى شيئا وقد علمت انه صحيح
الا انه خفى عليك وجه صحته فحميت وانكرته فى نفسك
ان لا تفاتحنى بالسؤال ولا تراجعنى فيه حتى اكون انا الفاتح
عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع
فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال
اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب
السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير
نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان
قلع لوحين من الواحها مما يلى الماء فجعل موسى يسد الخرق
بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ لتغرّق بالتشديد
وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع جئت شيئا امرا
اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهياء
اذا امرا بما نسيت بالذى نسيته او بشئ نسيته او بنسيانى

اراد انه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى او اخرج الكلام فى معرض النهى عن المؤاخذة بالنسيان
يوهمه انه قد نسى ليبسط عذره فى الانكار وهو من معاريض الكلام التى يتقى بها الكذب
مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم هذه اختى وانى سقيم او اراد بالنسيان الترك اى لا
تؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اى ولا
تغشنى عسرا من امرى وهو اتباعه اياه يعنى ولا تعسر على متابعتك ويسرها على
بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فقتله قيل كان قتله فتل عنقه و
قيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت
لم قيل حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت
جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت
فان قلت لم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء
الغلام وقرئ زاكية وزكية وهى الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها
قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعنى لم تقتل نفسا فتقتص منها
وعن ابن عباس ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل
نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من
اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه
بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب
على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها بعد هذه الكرة او المسالة
فلا تصاحبنى فلا تقاربنى وان طلبت صحبتك فلا تتابعنى على ذلك وقرئ فلا تصحبنى فلا
تكن صاحبى وقرئ فلا تصحبنى اى فلا تصحبنى اياك ولا تجعلنى صاحبك من لدنى عذرا قد اعذرت
وقرئ لدنى بتخفيف النون ولدنى بسكون الدال وكسر النون كقولهم فى عضد عضد عن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيى فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى
أخي موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب أهل قرية هي أنطاكية وقيل الأيلة وهي
أبعد أرض الله من السماء أن يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال ضافه إذا كان له ضيفا وحقيقته
مال إليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار وأضافه وضيفه أنزله وجعله
ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف
فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد أن ينقض استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة كما
استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها • قلق الفؤوس إذا أردن نصولا •
قال يريد الرمح صدر أبي براء • ويعدل عن دماء بني عقيل • وقال حسان إن دهرا يلف شملي بجمل •
لزمان يهم بالإحسان • وسمعت من يقول عزم السراج أن يطفأ وطلب أن يطفأ وإذا كان القول
والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والإباء والعزة والطواعية وغير
ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الإرادة قال إذا قالت الأنساع للبطن الحق • تقول سني
للنواة طني • لا ينطق اللهو حتى ينطق العود • وشكا إلي بعبرة وتحمحم • إن يك ظني صادقا وهو صادقي •
ولما سكت عن موسى الغضب • تمرد مارد وعز الأبلق • ولبعضهم يأبى على أجفانه إغفاءة •
هم إذا انقاد الهموم تمردا • أبت الروادف والثدي لقمصها • مس البطون وأن تمس ظهورا •
قالتا أتينا طائعين ولقد بلغني أن بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر
لأن ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحل ليرده
إلى ما هو عنده أصح وأفصح وعنده أن ما كان أبعد من المجاز كان أدخل في الإعجاز وانقض
إذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض
كاحمر من الحمرة وقرئ أن ينقض من النقض وأن ينقاص من انقاصت السن إذا انشقت طولا •
قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فأقامه قيل أقامه بيده وقيل مسحه بيده
فقام واستوى وقيل أقامه بعود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء

مائة

مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء
وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس
الحاجة أن قال لو اتخذت عليه أجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به ونستدفع به
الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ أصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع
وليس من الأخذ في شيء فإن قلت هذا إشارة إلى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول
ميعاده على ما قال موسى إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فأشار إليه وجعله مبتدأ
وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ ويجوز أن يكون إشارة إلى
السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق والأصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به
ابن أبي عبلة فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به لمساكين قيل كانت لعشرة إخوة
خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم أمامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل
خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى
فإن قلت قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر
عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التأخير وإنما قدم للعناية ولأن خوف الغصب ليس
هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وفي قراءة أبي وعبد الله
كل سفينة صالحة قرأ الجحدري فكان أبواه مؤمنان على أن كان فيه ضمير الشأن فخشينا أن
يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه
وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد
مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد
الإيمان وإنما خشي الخضر منه ذلك لأن الله عز وجل أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وأمره إياه
بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة
من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل

بمعنى فكونهما كقوله لأهب لك وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب
والرحم الرحمة والعطف فروي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على
يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل بدلهما ابنا مؤمنا مثلهما قيل اسما الغلامين
اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب
وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت
لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن
بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله
محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن
قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله تع والذين يكنزون الآية
وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين
الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسين بن علي انه قال لبعض الخوارج
في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال
قد انبانا الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى
رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله
ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران
نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض
واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور
من امامه وتحفظه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر انه سمع
رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم
باسماء الملائكة وعن علي سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال
احب الله فاحبه وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي

ولكن

ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب
على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد
فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا
يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته
قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم والفارس وروي الروم والترك وعنه
كان صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان لراسه ما يشبه القرنين
ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد
عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سالوه عن جهة الامتحان وقيل سأله ابو جهل
واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من
اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود
من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق
فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع سببا وقرئ حمئة من حمئت
البئر اذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر كنت رديف رسول الله صلعم
على جمل فراى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله
اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو
والحسن وقرا ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرا معاوية حامية فقال
ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه
الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية وروي
في ثاط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع فرأى مغيب الشمس عند مآبها
في عين ذي خلب وثاط حرمد اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود ولا تنافي بين الحمئة
والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين ان

يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما
من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين
واما من آمن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين الاسر والقتل
وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله اي يجازى المثوبة الحسنى او فعلة جزاء
الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء
وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه
من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة والخراج
وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع
بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان مجر الرامسات ذيولها
يريد كان آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم
لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا
الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك و
بينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب
يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا
كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء
اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر
فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فتنضج لهم وقيل الستر اللباس وعن
مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض
كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود
والآلات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك
الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب
من

من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل
الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه
الى من آمن منهم بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم
والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد
بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس
وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما
ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع
ارض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون
يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون
السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل
منع الصرف وقرئا مهموزين وقرا رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من
الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا
يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا
يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى
ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار
مفرطو القصر قرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال
وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال
واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان فما آتاني الله خير مما
آتاكم قرئ بالادغام وبفكه فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات
ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع
قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد

بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صار
كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا
صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله صلعم
ان رجلا اخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء
قال قد رأيته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اى يتقابلان
وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة و
القطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ
عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ائتوني اى جيئوني فما اسطاعوا
بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين
صادا واما من قرأ بادغام التاء في الطاء فلاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه
ان يعلوه اى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته
هذا اشارة الى السد اى هذا السد نعمة ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين
من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف ان يأتي
جعل السد دكا اى مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد
اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اى ارضا مستويا وكان
وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج
في بعض اى يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير
ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد
وروي يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به
ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث
الله نغفا في اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها

عن

عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها
ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم
قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع عبادي
من دوني اولياء هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من
دونهم وقرأ ابن مسعود افظن الذين كفروا وقراءة علي افحسب الذين كفروا اى افكافيهم و
حسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل
اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا
ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة انزلا ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه
فبشرهم بعذاب اليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي كقوله عاملة ناصبة وعن
مجاهد اهل الكتاب وعن علي ان ابن الكواء سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد
الخدري يأتي ناس باعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن
شيئا فلا نقيم لهم وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم
ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء
فان قلت الذين ضل سعيهم في اى محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين
ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل جهنم
عطف بيان للجزاء او هو الجزاء حولا التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عادني حبها عودا يعني
لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان
في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود
والمداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد
الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل
ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثله مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز

كقولك جئتك بمثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرأ
الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل
قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرأون وما
اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله
فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول
وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد بالنهي عن الاشراك
بالعبادة انه لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره
وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله
فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران
اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم
اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلعم
من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها
كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما
انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون
عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور
حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ ه والله اعلم بالصواب

قد انتهى هذا السفر الى آخر سورة الكهف
من تفسير الكشاف